محمود محمد طه

اسئلة

واجوبة

يناير ١٩٧٠ ذو القعده ١٣٨٩
ص ٠ ب ١١٥١ أم درمان سودان

الاهـــــداء

الى كل كـــريم ، مؤمن بكـــرامة الفكـــر ٠٠

ـ بعض مواضيع هذا الكتاب ـ

* فكرة ارسطو عن الله .. اين تختلف عن الاسلام ، واين تتفق ؟
* هل يفصل الاسلام فصلا قاسياً بين الروح والجسد ؟
* هل الروح شىء اصيل فى المادة ام هى شىء قائم بذاته ؟
* كيف يتواجد الله فى كل مكان ، وفى لا مكان ؟
* تخلق الانسان بالاخلاق الالهية هل يعنى الاتحاد أو الذوبان فى الذات ؟
* أين توجد الجنة والنار .. أفى عالمنا وزماننا هذا ؟
* خلاص العبد فى الاسلام كيف يتم ؟
* هل الموت ميلاد جديد ؟
* العنف بين القبول والرفض فى الاسلام ؟
* ما صحة تعريف ((نيوتن)) للأبعاد ، وما هو البعد الرابع ؟
* الحكمة وراء كون الطهارة الكبرى لكل الجسد والطهارة الصغرى لبعض الاعضاء فقط ؟
* قضية خلق القرآن .. هل تجد حلها الآن ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيهـــا الذين آمنـــوا ان تتقـــوا الله
يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ،
ويغفـــر لكم ، والله ذو الفضـــل العظيم »

صدق الله العظيم

مقـــــدمة :

ليس هذا الكتاب كاحد الكتب التى الفها الناس عنا ، من حيث وحدة الموضوع .. ذلك بانه يتالف من اجوبة على اسئلة ، جاءت اشتاتا ، من فضلاء يتفتحون على العرفان ، ويهتمون بقضايا الفكر المعاصر .. ولقد احتفلت باسئلتهم هذه ، وكان ذلك منى حرصاً على كرامة الفكر ، فى بلد لم يظفر الفكر فيه ، الى الآن ، بكبير كرامة .. ومع ذلك ، فان حرصى على تكريم الفكر انما يستمد اسبابه من اقتناع تام ، بان ليل الجهل قد اخـــذ ينجاب ، وان نور الفكر قد اخـــذ ينشر اجنحته المشرقة على هذه الارض الحزينة ، ومن ورائها ، على هذا الكوكب الحائر ..

*** سر الحياة ..**

قديما هام الناس بسر الحياة الاعظم .. هاموا بسر القدرة ، وبسر الخلود ... فجد الفلاسفة وراء ما اسموه بحجر الفلاســـفة ، وبحث الكيماويون عما اسموه اكسير الحياة .. وحلم القصاصون بخاتم المنى ، وبالفانوس السحرى .. ولم يظفر اى من هؤلاء بشىء مما كانوا يبتغون .

قل لهؤلاء جميعاً ، ولغير هؤلاء ، من سائر الناس ، ان سر الحياة الاعظم ــ ان اكسير الحيـــاة ــ هـــو الفكر .. الفكر الحـــر .. الفكر القوى ، الدقيق ، الذى يملك القدرة على ان يفلق الشعرة ، ويملك القدرة على ان يميز بين فلقتيها .. وهذا الفكر انما هو ثمرة العقل المســـدد ، المروض ، المؤدب بادب الحق ، وادب الحقيقة ...

* الاسلام والقرآن وسيلة ..

وانما ، من اجل رياضة العقول على ادب الحق ، وادب الحقيقة ، حتى تقوى على دقة التفكير ، جاء الاسلام ، وانزل القرآن ، وشرعت الشريعة .. فانت ، اذا سئلت عن الاسلام ، فقل لهم : انه منهاج حياة ، وفقه تراض العقول لتقوى على دقة التفكير .. والله تبارك وتعالى ، يقول فى ذلك : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » .. قوله ، تعالى : « وانزلنا اليك الذكر » يعنى القرآن ، المحتوى على الحقيقة ، كلها ، وعلى الشريعة ، كلها — الحقيقة التى هى اعلى من مستواك ، والحقيقة التى فى مستواك ، والحقيقة التى فى مستوى امتك .. وعلى الشريعة التى هى فى مستواك ، والشريعة التى فى مستوى امتك — قوله ، تعالى : « لتبين للناس مانزل اليهم » يعنى لتفصل لهم الشريعة التى يحتاجون ، وطرفا من الحقيقة التى يطيقونها ، مما يزيد فى فهمهم ، واحترامهم للشريعة .. قوله ، تعالى : « و » من قوله تعالى « ولعلهم يتفكرون » يعنى مرهم ان يعملوا بالشريعة ، بعقول مفتوحة ، وقلوب حاضرة .. قوله تعالى « لعلهم يتفكرون » هو المعلول ، وراء كل العلل ، والمطلوب ، وراء كل المطالب ، والمقصود ، وراء كل المقاصد .. يتفكرون فى ماذا ؟ فى السموات والارض ؟ لا !! ليس فحسب !! فانما هذا تفكير مقصود لغيره .. مقصود بالحوالة !! واما التفكير المقصود بالاصالة فهو تفكيرهم فى انفسهم .. قال تعالى : « وفى الارض آيات للموقنين * وفى انفسكم !! افلا تبصرون ؟ »

* رياضة العقول ..

والآية التى صدرنا بها هذه المقدمة انما جاءت بسبيل من رياضة العقول ، حتى تقوى على دقة الفكر ، وحريته .. « يايها الذين آمنوا » الذين استقبلوا الدين بالعقيدة ، ولم يستيقنوه بالفكر ، فيصبحوا « مسلمين » .. « ان تتقوا الله » يعنى ان تعملوا بالشريعة ، فتأتمروا بالامر ، وتنتهوا عند النهى .. « يجعل لكم فرقانا » ، يعنى نوراً فى عقولكم ، به تفرقون بين الحق والباطل .. يعنى يجعل لكم مقدرة فى عقولكم ، بفضل التقوى ، بها تقوون على التفكير الدقيق ، والتمييز السليم ، بين مايليق وما لا يليق .. بين الحلال والحرام .. « الحرام ما حاك فى نفسك ، وخشيت ان يطلع عليه الناس » .. والتقوى « شجرة » والفرقان « ثمرة » ، وبقدر ما تدق التقوى يدق الفرقان ،

ويقوى .. فالتقوى تبدأ من صورتها الغليظة ، ثم تسير نحو الدقة .. وكذلك الفرقان ، يبدأ من بداية بسيطة ، وضعيفة ، ثم يسير نحو الدقة ، والقوة ، تبعاً لسير التقوى .. وصورة التقوى ، والفرقان ، ومسيرتهما نحو الدقة ، من الغلظة ، يحكيها ، أحسن حكاية ، الحديث الشريف : ((الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرا لدينه ، ولعرضه ..)) .. فكان التقوى ، فى بدايتها ، لا تحتاج الى كبير عناء ، وكذلك قوة العقل ، المميزة بين الحلال والحرام ، لاتحتاج الى شدة دقة .. ثم يبدأ السير ، من الطرفين الغليظين ، نحو الوسط — نحو منطقة الامور المشتبهات — وهى منطقة فيها تبدأ الحاجة الى قوة فكرية ، زائدة ، بها يقع التمييز بين الحلال والحرام .. وفيها ايضا تبدأ الحاجة الى قوة فى الارادة ، زائدة ، بها تقوم القدرة على فعل ما هو به مامور ، وترك ما هو عنه منهى .. وتصبح التقوى ، ههنا ، علماً ، وعملا بمقتضى العلم .. اوقل ، تصبح قوة على التمييز ، ومقدرة على التنفيذ ، حسب ما يمليه التمييز ..

* مستويات التقوى والفرقان ..

فللتقوى اذن مستويات ، وللفرقان مستويات تقابلها ، فانه ، كما قررنا ، التقوى شجرة ، والفرقان ثمرة .. ((وعلى قدر اهل العزم تاتى العزائم)) ..

واغلظ مستويات التقوى ما يكون للمؤمن العادى ، وهو مستوى الحلال البين ، والحرام البين ، .. وبينهما يتارجح ((بندول)) الفكر .. واول منزلة تلى منزلة المؤمن العادى ، منزلة الورع .. والورع هو الحذر ، الشديد الحذر ، المتيقظ الوجدان ، الشديد التيقظ .. فهو لا يعمل الا اذا علم ، وهو قليلا ما يعلم ، وذلك لزيادة شكه على علمه ، ولذلك قيل عنه : انه هو الذى يترك سبعين بابا من الحلال ، خوف الحرام .. يترك مالا باس به ، خوف ما به باس .. وهذه مرحلة هامة جداً من مراحل التنبه الفكرى ، تلى التبلد الفكرى ، الذى يكون عليه المؤمن العادى .. ثم تكون المنزلة الثالثة ، وهى تلى منزلة الورع ، وهى منزلة صاحب اليمين .. وفيها ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة فى

المنزلتين السابقتين ، يكون السالك قوى الفكر ، قوى العزيمة .. لا تتلبس عليه وجوه الراى ، فهو يدرك بسرعة ، ويميز بدقة ، ويحمل نفسه على العمل بعزائم الامور .. وهو انما سمى صاحب اليمين لأن عمله ضد رغائب نفسه ، فى غالب احواله ، كانه ضد صاحب الشمال .. ثم تلى هذه المنزلة ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة فى المنازل السوابق ، منزلة البر .. والبر اكثر ادراكاً من صاحب اليمين ، واكثر تسامحا ، فهو رفيق بنفسه ، وبالناس ، وذلك بفضل سعة علمه .. فان صاحب اليمين ، حين قبضته بقية الورع الذى ورثه من منزلة الورع ، التى خرج عنها ، ولما يتخلص من عقابيلها ، بسط العلم صاحب منزلة الابرار .. فترى البر سمحاً ، متسامحاً ، واسع الافق ، يرى الوجوه المختلفة لكل قضية فكرية ، او سلوكية ، تعرض عليه ، بطريقة فيها سعة ، وفيها دقة .. ثم تلى منزلة البر منزلة المقرب .. والمقربون هم الذين يكونون عند ربهم ، غالب احوالهم ، فهم علماء ، قد وسع العلم عليهم ماضيق الجهل على سواهم .. فاصبحوا ، بفضل الله ، ثم بفضل سعة علمهم ، رحماء ، طيبين ، متسامحين ، محبين للاشياء ، والاحياء ، فى سلام مع ربهم ، ومع انفسهم ، ومع الناس .. يدعون الى الرضا بالله ، والمصالحة مع الناس ، وينشرون الحب ، والسلام ، والمسرة ، بين الناس ، كما ينشر الزهر العطر ، وكما تنشر الشمس النور ، والحرارة ، والدفء .. هؤلاء هم ملح الارض ، عرفوا ، او لم يعرفوا .. وتقوى هؤلاء هى عمل ، أو ترك للعمل ، ابتغاء وجه الله .. وزمنهم فكر متصل .. فجميع اوقاتهم معمورة بالفكر ، والعمل .. وفكرهم ليس تعملا ، وانما اصبح طبيعة ، تنبع فيهم المعانى ، والمعارف ، كما ينبع الماء النمير من العين الثرة ، وقد تطهرت من اوساخها ، واوضارها .. وعبادة المقربين الاستقامة .. والاستقامة ان تكون على السراط المستقيم ، فى الفكر ، والقول ، والعمل ، فلا تميل يسرة ، ولا يمنة .. ولا تتم الاستقامة الا لمن تخلص من ذنبه ، ما تقدم منه ، وما تاخر .. وهيهات !! ولكن هذا موعود الله لأهل قرباه ، وموعود الله لابدآت ، فوعده ، تعالى ، غير مكذوب .. ولقد قال فى الآية التى صدرنا بها هذه المقدمة : ((يايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم)) .. قوله تعالى : ((ويكفر عنكم سيئاتكم))

يعنى يغفـر لكم خطيئاتكم الموروثة من لدن آدم .. وتلك تتمثل فى الكبت على العقـل الباطن المتوارث عبر التاريخ البشرى .. قوله تعـالى : « ويغفر لكم » يشير الى الخطيئةالمكتسبة ، فى مقابلة الخطيئة الموروثة .. والخطيئة المكتسبة تتمثل فى الكبت الواقع على العقل الباطن ، المكتسب اثناء عمر احـدنا .. وانما يكون التكفير ، والمغفرة برفع هـذا الكبت ، الموروث ، والمكتسـب ، وانما يكون رفع الكبت « بالفرقان » .. بنور العقـل القوى الذى يتخلل السراديب المظلمة ، حيث ترقد الرغـائب المكبوتة على حواشي العقل الباطن خلال ملايين السنين .. وقد سمى ، تبارك وتعالى ، هذه السراديب المظلمة حـول العقل الباطن بالرين ، واليهانسـب غفلتنا ، وجهلنا ، وحجبنا عن الحقيقة ، فقال ، تبـارك وتعالى : «كلا ! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا ! انهم ، عن ربهم ، يومئذ ، لمحجوبون » .. فبقدرما يرفع هذا الرين ــ هذا الكبت ــ بقدر ما تكون قـوة العقل ، ودقة الفكر ، ووحدة البنية البشرية .. واصحاب هذه البنية الموحدة هم اصحاب العقول التى ، بقوة فكرها ، تفلق الشعرة ، وتملك التمييز بين فلقتيها : ايهما ابيض ، وايهما اسود .. وبقدر قوة التمييز تكون سلامة السلوك ، وسلامة القلب ، وصـفاء الذهن ...

* الاستقامه هى الوجود ..

الاستقامة هى الوجود الكامل ، الذى لا يتوزعه الوهم بين ماض انقضى ، ومستقبل غائب ، لما يحن حينه بعد ــ فالاستقامة هى العيش فى اللحظة الحاضرة ..

والاسـتقامة اصعب الأمور على العـارفين ولذلك فقـد قال المعصوم : شيبتنى هود ، واخواتها .. يشير الى قول الله تعالى ، من سورة هود : « فاستقم ، كما امرت ، ومن تاب معك ، ولا تطغوا .. انه بما تعملون بصير .. »

فانت ، اذا استطعت ان تعيش فى اللحظة الحاضرة ، مشـتغلا بتجويد الواجب المباشر ، من غير ان تذهب نفسك ، اسفا على الماضى ، ولا خوفاً من المستقبل ، فانك تكون قد وفقت الى سر الحياة الاعظم ، حيث تستمتع بكمال حياة الفكر ، وكمال حياة الشعور ، وحيث تنتصر على المرض ، والشيخوخة ، والموت .. ذلك موعود الله .. وانما ينال موعـود الله ، بفضـل الله ــ « والله ذو الفضـل العظيم » ــ ثم بفضل الفكر ..

الفكر ؟؟ اى فكر تعنى ؟؟ هل تعنى اى فكر ؟؟ لا !! ولاكرامة !! وانما اعنى الفكر المروض بادب القرآن .. ادب حقه ، وادب حقيقته ..

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الابن المبارك توفيق السنوسى ،

تحية طيبه ••

وبعد فيسرنى ان أجد الفرصة للرد على اسئلتك الطريفة ، وفى نفس الوقت لابد من الاعتـذار عن الايجاز الشـديد ، وذلك لاستعجالك أنت من جهة ، ولضيق الوقت الذى لدى من جهة أخرى •

※ هل صحيح ان الله اذا احب عبدا ابتلاه ؟

نعم !! فان معنى محبة الرب للعبد تقريبه منه ، وهى انمـا تكون فى مقابلة بروز محبة العبد للرب •

والابتلاء انما هو امتحان صدق العبد فى ادعائه محبة الرب •• والغرض منه تفريغ قلب العبد عن حب ما سـوى الله ، حتى يجىء الحب صادقا ، وصـافيا •• ولذلك يقول تعـالى « ألا لله الدين الخالص » ••

※ هل يؤمن الاسـلام ب « نبل الحزن » ؟ وهـل الحـزن اعمق من الفرح ؟

« نبل الحـزن » فى المعنى الذى يريده الاسـلام يعنى ادامة الفكر فيما يجب للرب على العبد من حقوق ، وفى مبلغ تقصير العبد

عن الوفاء بتلك الحقوق ، وهذا تفكير يورث تواضعاً ، وانكساراً ، ويبعد البطر ، والرضاء عن النفس ، والتكبر ، وفيه قال تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى » ولذلك يحكى عن النبى انه قال « يا أمة محمد !! والله ما أحد أغير من الله ان يزنى عبده ، أو تزنى أمته ، يا أمة محمد !! والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ، ولضحكتم قليلا » وقد كان صلى الله عليه وسلم « متواصل الاحزان »

فالحزن فكر متصل ، يورث التواضع ، والسكينة الى جانب الله . وهو بذلك أعمق من الفرح ، الا ان يكون فرحاً بالله .. فأن هذا وحده يكون أعمق من الحزن ، وهو اندر من الكبريت الاحمر .. وهذا يسوقنا الى ان الفرح على درجتين : فرح بنعم الله ، وفرح بذات الله .. فالفرح بنعم الله الحزن أعمق منه ، والفرح بذات الله أعمق ، وانبل من الحزن النبيل ، وهو كما قلنا أندر من الكبريت الاحمر ، لانه يقوم على محض العلم بالله ..

*** يتحدث الاستاذ محمود محمد طه فى مؤلفاته عن الاخلاق الآلهية . هل يعنى هذا ، من قريب ، أو بعيد ، انه يمكننا ـ بتشبهنا باخلاق الله ـ ان نكون جزءا من الله ، أو نذوب فى الذات الآلهية ، ونتحد معها ؟**

نحن نشارك الله فى اخلاقه ، فقد خلقنا ، تبارك وتعالى ، على شاكلته ، ولكن أخلاقنا فى طرف النقص ، واخلاقه ، تبارك وتعالى ، فى طرف الكمال .. ثم ندبنا الى ان نتخلق باخلاقه ، فى معنى ما كتب علينا ان نعبده .. فتخلقنا باخلاقه فى بادىء أمرنا تكلف منا للترفع ، والترقى ، والتسامى ، الى ان يصبح هذا التكلف طبعا ، فنكون قد سمونا ،

وتجافينا عن طــرف النقص ، نزوعا منا الى طرف الكمال • والذات الألهية مثلنا الأعلى فى هذا التطور ، ولكننا لن نكون جــزءا منها ، لانها لا تتجزأ • ولن نذوب فيها ، الا فى معنى اننا نذيب نقائصــنا فى كمالاتها • ولن نتحــد معها ، لانها مطلقة ، ونحن محــدودون •• وانما أمرنا معها أمر المتطــور من بداية لكمــال الى نهاية للكمال ، ولكن هــذه النهــاية مطلقة ، فيصبح حظنا من التطــور سرمدياً ، مستمراً ••• فليس لكمال البشر نهاية ، لأن نهايتهم الله ، وليس لله نهاية •• « وأن الى ربك المنتهى » ولا منتهى •• بايجــاز ؟ كمــال الانسان أن يكون «الله» •• ولن يكون ! لأنه ليس لله نهاية فيبلغها ولا صورة فيكونها ، وأنما كمال الانسان ، فى هذا الباب ، أن يكون مستمر التكوين ــ مستمر التطور ، من النقص الى الكمال ــ يستزيد كل حين جديد من حياة الفكر وحياة الشعور •• وذلك بتجديد فكره ، وتجديد شعوره ، فهو منطلق لا يقف ، الى غاية لن يبلغها، لانها ليست لها نهاية فتبلغ ــ لأنها مطلقة •• ولكن نهاية العبد كمال الرب •

*** هل المسكنة HUMILITY فضيلة يحضنا عليها الاسلام ؟**

نعم !! وهى تعنى عنده التواضــع الفكرى ••• تعنى معرفة العقل لصغر شأنه بازاء الكمال الألهى الذى يتعــالى ، ويتعاظم عن أن يحاط به • والمســكنة عندهم تعنى العجــز عن الادراك المحيط بالله ، ومن أجل ذلك قالوا : « العجز عن الادراك ادراك» ، يعنون ان شعر العقل بقصوره عن الاحاطة بالمعــرفة الألهية فقد ادرك ••• وما ذاك الا لأن الاســلام يعنى الاستسلام الواعى للارادة المحيطة بالاكوان • ولا يتم الاستسلام وفى النفس بقية ادعاء قــدرة ••• فالمسكنة شعور بقصــور الارادة البشرية بازاء الارادة الألهية •• وهذا أيضــا هــو معنى الفقر عندهم •• ولقد قال محيى الدين بن عــربى :

دخلوا فقراء على الدنيا * وكما دخلوا منها خرجوا

دخلوا بلا أرادة، وخرجوا بلا أرادة • وشاهدوا، بين دخولهم على الدنيا وخروجهم منها ، ان الارادة للواحد المريد •• وبهذا المعنى الاسلام يطلب المسكنة ، ويحض عليها • قال تعالى فى حديث قدسى للنبى داود : « يا داود ! انك تريد ، واريد ، وأنما يكون ما اريد •• فأن سلمت لما اريد ، كفيتك ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد ، اتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون الا ما اريد • »

*** هل يحضنا الاسلام على مقابلة الكراهية بالحب ، والتسامح ، على طريقة « ادر له خدك الايسر ؟ »**

نعم !! ولكنه لا يجعل ذلك حظ العوام ••• وأنما يطالب به العارفين •• فشريعة العارف معرفته ، والمعرفة تقول « ان اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك » ولذلك فأن من لطمك أنما لطم عدوك الداخلى ، فلا تظنن أنه هو عدوك ، فتهب الى مصاولته ، وأنما هو صديق فى ثياب عدو ، وأنما فعله هذا بك نصرة منه لك على عدو فى ثياب صديق — هو نفسك الجاهلة — وهم يعنون ان نفسك الجاهلة ، لسوء أدبها مع الله ، لطف بها ، فقيض لها من يؤدبها ، فجاءتها اللطمة ممن لطمها ، فلا تدافع عنها ، واطلب لها من التاديب المزيد — ادر له خدك الايسر ، ذلك لانها ، ان أحسنت الادب مع الله ، فلن يكون لاحد عليها من سبيل ، لأنها تكون ، حينئذ ، قد انتصرت على كل شىء •• واما العوام فشريعة الاسلام لهم (من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ••

(وهم درجات عند الله) ••

ان الاسلام (يهودى — مسيحى) فهو يطالب العوام بما طالب

به موسى اليهود ، على تطـوير له فى ذلك •• ويطالب الخواص بما طالب به المسيح النصارى ، على تطوير له فى ذلك أيضا ••• « وجزاء سيئة سـيئة مثلها ، فمن عفا ، واصـلح ، فأجـره على الله ، أنه لا يحب الظالمين •• »

وبداية الخواص هى بداية العوام ، ولكنهم اقدر من العوام على التطـور والارتفـاع فى سـلم الكمـال ، فحيث يظـل العوام فى أول السلم ، يرقى الخواص المراقى ••

*** هل التفكير الغائى فى اصل الدين ؟ وهل صحيح ان الله لم يخلق هذا العالم الا ليعبده هذا العالم ؟ والا فما الغاية وراء الخلق الالهى ؟**

الغائية اصل الدين •• بل هى اصل الاصـول فيه ــ فلامكان للصدفة ، لا فى كبيرة ، ولا صـغيرة •• « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » تحكى هذه الغائية ، أفضل حكاية •• وهذا يجيب على الشطر الثانى من سؤالك ، ولكن يبقى ، بعد ذلك ، شىء ، هو : مامعنى العبادة ؟ وهل الله محتاج للعبادة ؟

من الوهلة الاولى نقرر ان الله غنى عن العبادة ــ « يأيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد » فالناس هم المحتاجون الى العبادة ، لا الله •• والعبادة ، ماهى ؟ اجملها المعصوم حـين قال « تخلقوا باخلاق الله • ان ربى على سراط مستقيم » •

واعلى اخلاق الله الاطلاق ــ الحرية الفردية المطلقة •• ولذلك فأن أعلى مراتب العبادة حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة •• وهذه تقتضى قوة الفكر ، ودقته ، ومضاءه فى مراتب القول والعمل ، حتى يتحقق العابد ، الموحد ، بمرتبة توحيد ذاته بتوحيد فكره وقوله وعمله •• قال تعـالى فى ذلك « يأيها الذين آمنوا لم تقـولون ما لا

تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » فاذن الغاية التى من أجلها خلقنا ان نحقق كمال ذواتنا ، عن طريق العبادة • وذلك بفضل ما تورثنا اياه العبادة من قوة الفكر وحدته ومضائه — قال تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم • ولعلهم يتفكرون » فكأن الحكمة وراء شريعتنا ان نفكر ، والفكر ليس غاية فى ذاته ، وانما هو وسيلة الى تحقيق الحياة الكاملة ، وهى الحياة التى تستمتع بالحرية الفردية المطلقة ، وتحسن التصرف فيها — فالحياة الكاملة هى الغاية من خلقنا — خلقنا لنكون كاملين كمال الله • وهيهات !!

*** ثمة آيات فى القرآن تبخس الدنيا ، وتصفها بالفناء •• هل يقول الاسلام بالانكار المطلق لقيمة الحياة ؟ ما تفسير الاستاذ محمود للآية القائلة بالا نسأل عن اشياء ان تبد لنا تسؤنا ؟**

الاسلام يقسم الحياة الى درجتين ، بينهما اختلاف مقدار ، لا اختلاف نوع : الحياة الدنيا ، والحياة العليا •• فاما الحياة الدنيا فهى حيوانية ، واما الحياة العليا فهى انسانية •• فالانسان ، مادامت مسيطرة عليه صفات الحيوان ، خضع لها ، أو قاومها ، فهو فى الحياة الدنيا •• فاذا تخلص من صفات الحيوان ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة المستمرة لدواعى هذه الصفات ، فقد اصبح فى الحياة الاخرى ، ، أو الدار الآخرة ، كما يرد عنها التعبير فى بعض الاحيان وقد جعل الموت الحسى فاصلا بين الحياتين • فكأنه ، ليدخل الانسان المجاهد لدواعى صفات الحيوان فيه ، فى الحياة العليا ، لابد له من تجربة الموت الحسى • ولكن الموت المعنوى يحقق طرفا من هذا الدخول ، والموت المعنوى يعنى ان تسكن دواعى صفات الحيوان فى الانسان تحت قهر العلم فى مستوى علم « حق اليقين » ولذلك فقد

قال المعصوم « موتوا قبل ان تموتوا » يشير الى هذا الموت المعنوى
•• فالحياة الدنيا ، أو حياة الحيوان هذه ، هى التى يشدد القرآن
عليها النكير ، ويصفها بالفناء ، والزوال ، ويندب الناس ليزهدوا
فيها ، ليرتفعوا الى انسانيتهم فى الحياة العليا ــ الحياة الانسانية ــ •

فالاسلام لا يقول بالانكار المطلق لقيمة الحياة ، وانما يميز بين
قيم الحياة ، ويجعل وكده تسيير الناس الى الحياة الانسانية
بتزهيدهم ، وازعاجهم عن الحياة الحيوانية • ومعنى فناء الحياة
الدنيا افضاؤها ، رضى الانسان ، ام لم يرض ، الى الحياة العليا ــ
« يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » •

واما تفسير الآية « يأيها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد
لكم تسؤكم • وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم • عفا الله
عنها ، والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها
كافرين » فانها تعنى نهى الاصحاب عن أن يكثروا من الاسئلة عن الحرام
والحلال، وعن أمور فى الدين سكت عنها النبى ، وذلك لأن ما سكت عن
تحريمه فالاصل فيه الحل • وفى الحل سعة ، وفى التحريم تضييق •
وكذلك الامر فى مسائل التكاليف ، فان الالحاح فى الاسئلة عما سكت
عنه قد ينزل القرآن بتجديد تكليف يزيد فى ثقلها • وكذلك الامر فى
مسألة العقيدة • وانت سألت عن الآية الاولى فقط ، ولكننى أوردت
لك الآية الثانية لأن فيها بيانا للاولى ، فكأنه قال لا تسألوا النبى عن
أمور فى العقيدة ، أو فى التكليف ، سكت عنها النبى • وان تسألوا عنها
فان الله يبديها لكم فى القرآن ، فتسؤكم لانها تجىء بتكليف زايد ،
فتدخلوا به فى الحرج ، بعد ان كنتم قبلها فى السعة ، وقد كان النبى
يقول لاصحابه « يأيها الناس اتركونى ما تركتكم • »

* كيف يتواجد الله فى كل مكان وفى لا مكان ؟

وجود الله لا يوصف بالمكان ، لان المكان مخلوق ، ومحدود ، فلا يحوى المطلق •• ولا يوصف باللامكان ، لأن اللامكان متصور ، والله مطلق لا يدرك وجوده التصور « فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك » فاذا قلنا ان وجود الله يتنزه عن المكان ، والزمان ، فليس معنى ذلك انه يوجد فى اللامكان ، ولا اللازمان ، وانما هو أيضا يتنزه عن هـذا التصور ، فوجوده مطلق لا يتعلق به الوهم ، ولا التصور ، ولا الادراك •• انما الادراك يدرك ضرورة وجوده ، لا كيفية وجـوده •• فليس للكيف ههنا مكان •

* كيف يتسنى لنا فهم الله ، أو حتى التوصل الى وجـوده اذا كـان الله لا يشبهنا فى شىء ، من قريب أو بعيد ، وليس كمثله شىء ؟

ليس معنى قوله تعالى « ليس كمثله شىء » اننا لا نشبهه •• لا من قريب ولامن بعيد •• بل الحق اننا نشبهه تعالى • وقد قال المعصوم « ان اللهخلق آ دم على صورته » •• وقرينة الشبه قائمة بيننا وبينه تعالى ، فانه تعالى عالم ، ومريد ، وقادر ، وكذلك الانسان ، خلقه الله عالما ، ومريدا ، وقادرا ، ومن أجل هذه القرينة فانا نعرف الله ،ولولاها لما أمكن أن نعرفه •• راجع الاجابة على السؤال نمرة ٣ •

* المقاساة « Suffering » تشكل ركنا هاما من أركان المسـيحية •• ما قول الاسلام فى المقاساة ؟

المقاساة جاءت للمسيحية عن طريق اعتقادهم موت المسيح على الصليب ، من أجل تفدية البشرية من الخطيئة الاساسية التى كسبها

أبوها آدم •• وهذه القاعدة هى أصل الاصول فى المسيحية •• ولكن ليس لها فى الاسلام مكان •

الصبر هو ما يقابلها فى الاسلام •• فالقرآن ملىء بالحض على الصبر ، وبوعد الصابرين بعظيم الثواب •• « يأيها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » •• « فأصبروا » حض على الصبر • « وصابروا » زيادة فى الصبر ، حتى تصبح مغالبة للاعداء على الصبر • «ورابطوا» الزموا الصبر ، والمصابرة ، على النهوض للاعداء الخارجيين والداخليين •• فى الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر ، وليكن صبركم اتقاء لله ، لا تشوفا ، ولا سمعة ، ولا رياء • فان فعلتم ، فانه يرجى لكم أن تفلحوا فى نيل ما عند الله من لطائف القرب •• هذا فى الحض على الصبر • وفى الوعد باجر الصابرين يقول تعالى : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر ، والصلاة • ان الله مع الصابرين » وقوله « ان الله مع الصابرين » هو قمة الموعود بالاجر الجزيل •• فكأن العاملين حين يكون اجرهم على عملهم الجنة ، يكون اجر الصابرين على صبرهم الله نفسه ، وما فوق ذلك مبتغى لمبتغ •

والفرق الاساسى فى النظرتين : المسيحية والاسلامية ، الى المقاساة والصبر ان المقاسى قد يتصيد المقاساة ، ويرى فى ذلك فضيلة ، ولكن الصابر لا يتصيد الصبر ، وانما يسأل الله العافية ، فاذا اصابه مكروه صبر عليه ، ثقة بالله ، وتوكلا عليه ، لانه أولى بنا منا ، واعرف بمصالحنا منا ، وارحم بنا منا ، واقدر على توصيل الخير الينا منا •• قال تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم ، وانتم لا تعلمون » •

« وبشر الصابرين ، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا : انا لله ، وانا اليه راجعون » هذا هو رأى الاسلام فى المقاساة ــ صبر على البلاء حين يقع ، واحتساب فى سبيل الله ، ولكن العافية خير منه ، واحب الى النفوس • وليس من الاسلام تصيد المصائب ــ قال احد الاصحاب «اللهم ! أسألك الصبر» فقال النبى : « سألتم الله البلاء • سلوه العافية » فكأن الصبر لا يكون الا على البلاء ، فمن سأل الصبر فكأنما سأل البلاء ، وسؤال العافية خير عند الناس ، وعند الله •

*** هل شجرة التفاح التى اكل منها آدم وحواء فى الجنة هى شجرة المعرفة ــ معرفة الخير والشر وهل يعنى هذا ان المعرفة خطيئة ؟**

هذه الشجرة يمكن ان تكون أى شجرة •• المهم انه قد وقع عليها التحريم ، والتحريم حكم شرعى ، فليس هناك شىء هو فى عينه حرام ، وعندما خالف آدم الامر بالتحريم انما اخطأ لانه اختار ارادته هو عن امر ربه ، ولذلك فقد غوى •• فعندما كان آدم طائعا لله لم يكن يعرف الشر ، فهو فى الخير المطلق ، وعندما اختار نفسه عن ربه تورط فى الشر •• وسميت الشجرة التى اكل منها شجرة معرفة الخير والشر ــ وعندنا ان الشجرة التى اكل منها آدم هى شجرة التين ، فان شجرة التين ، حسيا ، ترمز الى النفس الامارة •• وترمز الى الزوجة ــ حواء ــ ولذلك فان المعصية ، بالاكل منها ، تداعت الى اتصال آدم بحواء جنسيا ، قبل ان يؤذن له ، فتكون له ، بذلك الاذن ، زوجا شرعية ، حلالا ، طيبة •

واذن فالمعرفة ليست خطيئة ، وانما الخطيئة الجهل ، وهو هنا يتمثل فى مخالفة امر الله ــ « وعصى آدم ربه ، فغوى » •

*** ما دور الكشف فى التوصل الى وجود الله ؟**

الكشف معناه ظهور الحقائق للعقل الواعى ، من العقل الباطن ، ظهور تجربة ، وذوق ، وهو ، من ثم ، ظهور يقين لا يدركه الشك .. وهو لا يتأتى الا عن ممارسة عملية للعبادة ، فى طور مجود تجويدا كبيرا فى العمل بالشريعة — والى الكشف وردت الاشارة فى القـرآن « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .. « واتقوا الله » تعنـــى اعملوا بالشريعة باخلاص ، وتجويد ، « ويعلمكم الله » تعنى يعلمكم الحقيقة — والحقيقة هى معرفة اسرار الالوهية .

فدور الكشف فى التوصل الى وجود الله ، والى معـرفة الله ، هو الدور الاساسى ، والاصلى وان شئت فقل الوحيد .

*** بعض السور تشير الى ان الله يسمع ، ويرى ، ويتكلم ، ويستوى على عرش . ما تفسير ذلك ؟**

أولا ، كلمة الله تطلق فى القرآن ، فى المعنـى القـريب ، على الانسان الكامل ، وفى المعنى البعيد ، على الله ، تبـارك وتعـالى فى اطلاقه .. ولكن الله ، تبارك وتعالى ، فى اطلاقه ، فوق الاسـماء ، والصفات — هو منزه عن الاسماء — ولكنه تنزل الى مرتبة الاسم ، فسمى نفسه « الله » ، وتعلقت به جميع الصفات ، وجسده الانسان الكامل .. فاسماء الله الحسنى كلها اسماء ، وصفات للانسان الكامل ، الذى اكتملت فيه الصورة الالهية فى عبارة « ان الله خـلق آدم على صورته » .. وهى لاحظ لها من الذات المطلقة الا الاشـارة .. وفى هذا المستوى فان الله ، فى اطلاقه ، يسمع بذاته ، لا بحاسة ، ويرى بذاته ، لا بحاسة ، ويستوى على العرش بلا كيفية يمكن تصورها . لان كل شىء يتعلق بالذات الصرفة فهو فوق التصور ، كما سبقت الى ذلك الاشـارة .

واما الله بالمعنى القريب — الانسان الكامل — فهو يسمع بذاته ،

ويرى بذاته ايضا ، لا بأذن ، وعين ، لان كل حاسة منه قد صـــارت كله ، فهو ، كله ، فى أى جزء منه ــ فابن الفارض كان يقول :

وصرت موسى زمـــانى * مذ صـــار بعضى كلى

وهذه حالة تحققها قمة التوحيد ، لان قمة التوحـيد ان يكـون الموحد (بكسر الحاء) وحدة ٠

* **ما علاقة الخالق بمخلوقاته فى الاســلام ، وبالذات ، عــلاقته بالانســان ؟**

ليس فى الوجود الا الله ٠٠ والمخلوقات هى مظاهر قدرته ــ هى قدرته مجسدة ــ وقدرته ليست غيره ، وانما هى ، عند التناهى ، ذاته ٠٠ فالمخلوقات هى الله ٠٠ والانسان طليعتها فى ذلك ، فى اعتبــار العروج الى الله من درجات البعد ، بين القدرة ، والارادة ، والعلم ، والذات ٠٠ فالمخلوقات هى الله ، ولكن الله ليس المخلوقات ٠

* **هل لله ارادة وهل تفسر الخلق بانه عملية غائية ، اى تجســيد لغاية فى ضمير الله ؟**

الاجابة على هذا السؤال كلها متضمنة فى الاجوبة القــريبة المــاضية ٠

* **ما الصعوبات التى تحف الفصل بين الله ومخلوقاته ؟**

هذه الصعوبات كثيرة ، ولكنها ، فى جملتها ، هى مقام التعدد من الوحدة ٠٠وظيفة التوحيد ، الذى شعاره عندنا فى الاسلام « لا إله الا الله » انما هى اعطاء الموحد النظرة الثاقبة ، الدقيقة ، التى يميز بها بين « الله ومخلوقاته » ، حتى يعيش مع الله ، بالحقيقة ، ومع خلقه ، بالشريعــة ٠

*** الى اى حد تعتقد ان اله ارسطو يشبه الله فى الاسلام ؟**

رأى ارسطو عن الله يتفق فى جملته مع الاسلام ، ويختلف فى دقائق التفصيل —

فى كتاب « السياسة » الشهير يعـــرف ارسطو القــانون بأنه « العقل الذى لم يتأثر بالرغبة » ويقول « ان الذى يأمر بحكم القانون قد يسوقه ذلك الى أن يأمر بحكم الاله ؛ أو العقل وحده ، ولكن الذى يأمر بحكم الانسان يضيف عنصرا من عناصر الحيوان ، لان الرغبة حيوان وحشى ، والهوى يفسد عقول الحكام حتى ولو كانوا افضل الناس » فهذا القول يحكى فكر ارسطو عن الله « العقل الذى لم يتأثر برغبة » يعنى العدالة المطلقة ، فى مقابل العدالة النسبية — العـدالة الالهية ، فى مقابل العدالة الانسانية — وهـــو قول يحكى ، فى جملته ، رأى الاسلام عن الله .. ثم ان ارسطو يرى ان الله هو المحـرك الاول ، الذى تنتهى عنده الحركة .. واغلب الظن عندى ان ارسطو يرى ان المحرك الاول الذى حرك الاشياء قد أودع فيها حركتها — حـــركة تؤدى الى حركة ، بقوانين منضبطة — وهذا ما يعطيه الفكر . وقـد كان الفكر ابرز خصائص ارسطو . ولكن الله فى الاسلام وراء الفكر .. والذى يؤدى اليه الكشف — وهو موضوع سؤالك نمرة ١٢ — هو ان ليس هناك ، فى الحقيقة ، سبب يؤدى الى سبب ، وانما هو ترتيب تعاقبى يســتعد به المحل لتلقى الفيض الالهى ، فى كل لحظة ، فتظهر الحركة ، بعد استعداد المحل لها ، من عند الله — فالنار ، مثلا ، لا تحرق لمجرد وجودها ، وانما تحرق حين يرد الاذن الالهى بالاحراق ،

وكل ما هناك ، ان وجود النار دليل على استعداد المحل لورود الاذن الالهى بصدور الحركة المقبلة ،وهى الاحراق ، لمن عرض يده للنار ، مثلا .. هذا التفصيل هو من دقائق التوحيد فى الاسـلام ، وليس لارسطو فيه قدم ، وهو يمثل اختلاف فكرة ارسطو عن الله ، عـن فكـرة الاسـلام .

* ما تفسير الاسلام للمعجزة ؟

ان الوجود ، فى جوهره ، روحى .. والمادة مظهره ، فاذا تبعت الحوادث المظهر اصبح امرها عاديا ، ولكنها اذا تبعت الجوهر — وهو الروح — ظهر عندنا نحن ما نسميه معجزة .. فمثلا الجسـم ، وهو مظهر الروح ، يخضع للعلة ، والموت ، ولكن الروح غير خاضع لايهما .. فاذا كان هناك رجل هو من القوة بحيث يتصرف فيما وراء المادة ، وابرز حكم الروح على الجسد ، ابرأه من العلة فى لحظة ، أو اقامـه من الموت ، بعد الموت .. هذه معجزة .

* الى اى حد نحن مخيرون ، والى أى حد نحن مسخرون ؟

الاجابة على هذا السؤال تحتاج لتفصيل وقد وردت فى كتابنا « الرسالة الثانية من الاسلام » بطريقة تغنيك اذا رجعت اليها .

* هل تصلح نظرية العقاب والثواب فى يوم الحسـاب أسـاسا للاخلاق ؟

أساسا للاخلاق تصلح .. ولكن ليست لقمة الاخلاق .. بل انه ، فى الحق ، ليس هناك أساس للاخلاق غيرها ، لأن الانسان بطبعه لا يفعل امرا ، ولا يترك ، الا بحوافز الكسب ، والخسارة .

ولكن عندما يتسامى الانسان فانه يجد حافز فعل الخير فى الخير

نفسه ، ولا يكون التسامى الا عن بداية اساسها حافز الثواب ، والعقاب •• وبخاصة فى يوم الحساب •• لان ذلك يحمل معنى المراقبة الدقيقة على فعل الخير ، وفعل الشر ، حتى حين يكون الفاعل فى مأمن من رؤية السلطة الزمنية ، لأن الذى يثيب ، ويعاقب ، يوم الحساب ، هو المطلع على الضمير المغيب — « يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور » ••

❋ لماذا يمنع الله التفكير فى ذاته ؟

لأن الفكر لا يعمل الا فى منطقة الثنائية ، فبضدها تتميز عنده الاشياء ، — وليس لذات الله ضد — فليس للفكر فيه مجال — وانما التفكر فى مخلوقاته •• ولقد قال تعالى — « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وقال : « سبحان الذى خلق الازواج كلها ، مما تنبت الارض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون » •

واما ذاته فلا تحيطها العبارة ، حتى ولا عبارة القرآن •• واقرب شىء الى التعبير عنها قوله تعالى« ليس كمثله شىء » فذاته وحدة مطلقة ، تعيى الفكر ، وتسوقه الى الضلال •• هذا ، اذا لم يهده الضلال الى العجز ••

فهو ، اذن ، انما منع عن التفكير فى ذاته لأن التفكير فيها يضل المفكر •

قال المعصوم « تفكروا فى مخلوقات الله ، ولا تتفكروا فى ذاته ، فتضلوا » ••

❋ هل يقول الاسلام بخلود الروح ، وهل الايمان بخلود الروح ضرورى للايمان بوجود الله ، أم العكس هو الصحيح ؟

الاسلام عنده ان جميع الاشياء ، من ادقها الى اعظمها ، جمادها ، وحيها ، كل منها ، ذو شكل هرمى ، له قمة ، وله قاعدة —

القمة تمثل الروح ، والقاعدة تمثل الجسد ـ والاختلاف بين القاعدة والقمة اختلاف مقدار ٠ والقاعدة فانية ـ متحركة فى تطور مستمر ، تطلب القمة ـ والقمة ليست باقية على صورة واحدة ، ولكنها متحركة ، فى تطور مستمر ، تطلب نقطة مركز الوجود ، وهى الله ٠٠ فالخالد فى الاسلام ليس معناه الذى لا يتغير على الاطلاق ، وانما هو الذى يتغير ، أو قل ، يفنى ببطء اكثر من الفانى ، والفانى هو الذى يتغير بسرعة سريعة ٠٠ قال تعالى « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ، ذو الجلال ، والاكرام ٠٠ » يبقى ، البقاء النسبى ، الوجه الذى يلى الله من الاشياء ـ وهو قمة هرم كل شىء ـ ويبقى ، البقاء المطلق ، وجه الله المطلق ، وتلك الذات المطلقة ٠

فالايمان بخلود الروح ، بهذه الصورة ضرورى للايمان بوجود الله ، لأن معرفته من اصول المعرفة ، فالايمان به ، اذن ، من اصول العقيدة ـ والعبارة التى اوردتها « ام العكس هو الصحيح ؟ » تعنى ان الايمان بالله ضرورى للايمان بخلود الروح ـ وهذا بالطبع اصح من ان يكون الايمان بخلود الروح ضروريا للايمان بوجود الله ، ولكن الايمان بخلود الروح اسهل على المبتدىء من الايمان بالله ، ولذلك فهو يكون سابقا للايمان بالله ، وهو انما كان اسهل لأن الاحلام تعينه ، وليس للاحلام بالله تعلق ٠٠ فالكبار يستدلون بوجود الله على خلقه ، والصغار يستدلون بوجود خلق الله ، على وجود الله ٠٠ والقاعدة لكليهما قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ٠٠ أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ »

※ هل يفصل الاسلام فصلا قاسيا بين الجسد والروح ؟ اذا كانت الاجابة نعم (أ) كيف نفسر الفعل المتبادل بين الجسم والعقل (ب) ما هى النتائج الاخلاقية ، والتوحيدية ، المترتبة على هذا الفصل ؟

الاسلام لا يفصل بين الاشياء الظاهرة ، المغايرة لبعضها البعض ، لأنه دين التوحيد للمظاهر المختلفة فى كل واحد متناسق ؛ وعنده ان الاختلاف بين الجسد والروح ، هو الاختلاف الذى يكون بين القاعدة والقمة للشىء الواحد — انما هو اختلاف مقدار ، لا اختلاف نوع — فالجسد روح فى حالة من الاهتزاز تتأثر بها حواسنا — والروح مادة فى حالة من الاهتزاز لا تتأثر بها حواسنا ؛ وعمل العبادة ، فى العابد ، هو ان يرفع ذبذبة جسده الغليظ ، من كونها بطيئة ، ثقيلة ، لتصبح سريعة ، خفيفة .. ويصبح ، بذلك ، الجسد روحانيا .. وتصير الظلمة نورا ، والجهل علماً ، والقيد حرية .

※ ما مكان الانسان فى الكون ؟ أهو سيد المخلوقات ؟

نعم !! هو خليفة الله على الوجود العلوى ، والسفلى .. المنظور منه ، وغير المنظور .. هو بين الله ، فى اطلاقه ، وبين جميع خلقه — « واذ قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الارض خليفة » ثم خلق آدم على صورته ، ليقوم بتدبير مملكته ، وفق مرضاته .

※ اين توجد النار والجنة ؟ فى زمان غير زماننا ، ومكان غير عالمنا ؟ اهما البعد الرابع ؟

القاعدة التوحيدية تقول أنه ما من شىء كان ، أو يكون ، الا هو كائن اليوم ، وعلى هذا فأن الجنة والنار موجودتان الآن ، ولكن بصورة

مختلطة بعضها مع بعض ، وسيجىء يوم يكون وجود النار فيه صرفا ، ووجود الجنة صرفاً — ولا اعنى الصرافة المطلقة ، فأن هذه لا تكون الا عند الذات المطلقة — وهيهات !! ووجود الجنة ، بجانب ، وجود النار ، يمثله ، فى حياتنا الحاضرة ، لحظات النعيم ، التى يلقاها احدنا تارة ، ولحظات الشقاء ، التى يلقاها ، تارة أخرى .

وسيجىء يوم يصير فيه النعيم بلا شقاء ، الا قليلا ، الى جانب ، فيسمى الجنة .. ويصير فيه الشقاء بلا نعيم ، الا قليلا ، الى جانب ، فيسمى النار .. وهذا فى زمان غير زماننا الحاضر ، وفى مكان غير مكاننا الحاضر ... أما الزمان فعندما تنتهى دورة الوجود الحاضرة ، وتبدأ دورة للوجود جديدة — فأن دورة الوجود الحاضرة بدأت يوم انفصلت كواكب النظام الشمسى من سحابة بخار الماء التى كانت تمثل الشمس الحاضرة ، وبناتها ، التى تسمى بالكواكب السيارة ، والتى وردت عنها ، فى القرآن ، الحكاية بقوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا ان السموات ، والارض ، كانتا رتقا ، ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى .. أفلا يؤمنون ؟ » وهى ستنتهى يوم يعود هذا الفتق الى الرتق مرة ثانية ، « كما بدأنا أول خلق نعيده » ، فاذا عادت الاجرام الى الرتق بعد الفتق فقد انتهت دورة من دورات الوجود ، وبدأت دورة ، ويومئذ يبدأ زمان الجنة المنمازة عن النار — وتبدأ الارض الجديدة ، (وهى الشمس ، وبناتها ، فى كتلة واحدة) وتكون الشمس قد بردت ، واصبحت ، فى قشرتها ، صالحة لنشأة الحياة الجديدة عليها ، وفى داخلها ، لا تزال تلتهب ، فتكون ، على ذلك ، مكان الجنة ظاهر الارض الجديدة ، ومكان النار باطنها .. قال تعالى عن يومئذ « يوم تبدل الارض غير الارض ، والسموات ، وبرزوا لله ، الواحد ، القهار »

وتنبت الحياة من جديد ، فى دورتها الثانية ، من باطن الارض على ظاهــرها ، كما تنبت البذرة ، فكأن الناس يخرجون بذلك من النار (باطن الارض الجديدة) الى الجنة (ظاهر الارض الجديدة) والى ذلك الاشارة فى قوله تعالى « وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتماً مقضيا » ..

وانمياز الجنة عن النار يحدث نموذج منه على ظهر أرضـــنا الحاضرة ، وكأنه صورة مصغرة لما يكون عليه الأمر فى اليوم الآخر . فأنه من المقرر فى الاســـلام ان جنة الارض تتحقق قريبا بمجىء المسيح ، حيث يملأ الارض عدلا ، كما ملئت جوراً ؛ كما هو موعــود المعصوم ، وبعدها يتحقق قوله تعالى « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الارض ، نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجــر العاملين » ويوم يتحقق تعمير أرضنا هذه ، بهذه الصــورة ، تختفى الحشرات ، والهوام ، والافاعى ، فى باطنها ، فتكون صورة لاهــل النار ، فى النار ، فى اليوم الاكبر ، فى الارض الكبرى ، التى تحدثنا عنها ..

والجنة والنار ، ليستا البعد الرابع ، لانهما مكان ، ولا يتسـع المقام هنا للحديث عن البعد الرابع ، ويكفى ان نقول أنه ليس الزمن ، وأنما هو الله . وشرح ذلك يطول ، ويكفى أيضا ان نقول ، فى هذا المقام ، أنه متضمن فى هذه الآية الكريمة « ان المتقين فى جنـــات ، ونهر ، فى مقعد صدق ، عند مليك مقتدر » ..

* ما علاقة المسئولية بالاخلاق فى الاسلام ؟

الاخلاق فى الاسلام ليست هى الصـــدق ، والامانة ، ومعاملة الناس بما تحب ان يعاملوك به ، الى آخر هذه الفضائل الســلوكية المحمودة .. وأنما هذه نتائج الاخلاق ، وثمرتها ، ولكن الاخلاق هى

حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة • وحسن التصرف هذا بازاء الخالق أولا ، والخلق ثانيا ، وفى نفس الامر •• وقول المعصوم : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فمن ذبح منكم فليحدد شفرته ، وليرح ذبيحته » يقرب معنى حسن التصرف فى الحرية ، و « من ذبح منكم » هذه تشير الى مقام الشريعة التى ابيح فيها الذبح للحكمة المترتبة على تسخير الحيوان كغذاء للانسان • ولكنها تتداعى فى التطور ، مواكبة ، وحافزة ، للمجتمع حتى يبلغ مبلغ التصون عن أكل الحيوان ، « أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا ؟ فكرهتموه !! »

فاذا اتضح لك أن الاخلاق هى حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة ، اصبحت الاخلاق مسئولية واضحة •• وأمام من ؟ أمام الناس ، وأمام نفسك ، وأمام الله ، الذى يرى خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وفى آن واحد ، وبغير تسلسل زمنى ••

*** كيف يبرر الاسلام الضرورة الاخلاقية ؟ اعنى كيف يجيب على السؤال : لماذا يجب ان نكون أخلاقيين؟**

جواب الاسلام قريب ، وقصير ، وأنما يحتاج شرحه الى تطويل لا يتسع له الوقت الحاضر •• هذا الجواب هو اننا يجب ان نكون أخلاقيين لأن ذلك يعطينا الفرصة لنكون احرارا ، وبالحرية نتخلص من الخوف ، والخوف هو عدونا الأول ، والأخير ••

*** ما قول التصوف الاسلامى فى وحدة الوجود ، ووحدة الموجود ؟**

التصوف الاسلامى مداره التوحيد ، والتوحيد يقول : ان الوجود وحدة ، لأنه صورة من خالقه الواحد وحدة مطلقة • وأنما

التعدد الذى نراه نحن، ونظنه أصلا، وهم، من أوهام حواسنا القواصر..
وكلما تخلصنا من أوهام الحواس، كلما اتضحت أمامنا الوحدة،
التى تؤلف بين المظاهر المختلفة، حتى أنه اذا اتفق لنا ان ننظر الى
الوجود بعين الله لم نر غير الوحدة .. هذه النظرة القائمة على
التوحيد المجود هى نظرة الصوفية .. ولذلك فأن رياضة الصوفية
التعبدية تقوم على اكتساب المقدرة على النظر الى الوجود بعين
الله، وذلك بتوحيد الذات البشرية، اسوة بالذات الآلهية، وذلك
بالرياضة على توحيد الفكر، والقول، والعمل .. والقاعدة الذهبية
« يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ * كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لاتفعلون . » وعندهم لا يستطيع القرب من مقام هذه
الوحدة الا الاحرار . والاحرار عندهم اندر الاشياء وجودا ..
قال احدهم :

تمنيت على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر

* الخلاص « Salvation » ، كيف يتم خلاص العبد فى الاسلام ؟

أصل الشر، فى الاسلام، هو انقسام الشخصية البشرية؛
بين ظاهر وباطن .. النفاق، وسببه الخوف، وسبب الخوف الجهل
بحقيقة الوجود، وهو ما اسميناه أوهام الحواس، فى الجواب على
السؤال السابق .. وسبيل الخلاص، فى الاسلام، التوحيد ..
ويبدأ بتوحيد الخوف .. فبدلا من ان يكون الانسان خائفا من
العوامل المختلفة، فى البيئة، يركز الاسلام فى ذهنه ان الاشياء كلها
لو ارادت ان تناله بسوء، لا تناله الا بما كتبه الله عليه، ولو ارادته
بخير، لا يناله منها خير الا ماكتبه الله له .. فالله هو الفاعل
المطلق؛ للخير، وللشر .. « ان تصبك حسنة تسؤهم؛ وان تصبك

مصيبة يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل ، ويتولوا ، وهم فرحون ❊ قل : لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » واذن ، فمن العلم الا تخاف الا من الله ، والا ترجو الا الله .. ولذلك فقد جاء عن المعصوم : « رأس الحكمة مخافة الله » .. و « رأس الحكمة » تعنى أول منازل الحكمة ، كأنها رأس الجسر للعبور الى الله .. ثم ان الاسلام فى مراقيه يواجه التحرير حتى من خوف الله .. لأن الله ، لمن يعرفه ، لا يخاف ، وأنما يسكن اليه ، ويطمأن اليه ، ويؤنس به — ويحب . وعند المحبة يتم الخلاص ، فى الاسلام ، لانه بالمحبة تتطهر أرض القلب من رجس النفاق ، ويتم له السلام . قال تعالى « يوم لا ينفع مال ، ولا بنون ❊ الا من اتى الله بقلب سليم » وهذه أشارة الى الخلاص ، والقلب السليم هو القلب السلام ، على الاحياء والاشياء ..

❊ هل يمجد الاسلام العلم ؟ أى علم ؟

نعم .. وبلا تردد !! ولكن الاسلام ، فى مستوى الشريعة — أعنى للمبتدئين غيره عند الحقيقة — أعنى لمن استووا ، واستقاموا على الطريقة .. فهو يكره للعوام التوسع فى العلوم التى توزعهم ، ولا تجمعهم على الله ، وذلك خوفا عليهم من الفتنة المدسوسة فيها .. فالمبتدىء ، اذا قرأ اقوال الملحدين ، يتشوش خاطره ، ويهلك .. ولكن المستوى ، المستقيم ، يسوقه الى الله كل شىء ، وعنده ان ابليس يدعو الى الله دعوة هى فى بلاغة دعوة جبريل اليه .. فليس فى الوجود الا داع الى الله ، ولكن الناس لا يفهمون « وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ..

❊ كيف يبرر الاسلام الموت ؟

الموت الحسى ليس ، فى حقيقته ، كما نظنه نحن الآن ، وأنما

هو ميلاد فى حيز غير الحيز الذى نألفه نحن ، مثله ، فى ذلك ، مثل ميلاد الطفل فى عالمنا هذا ، فأنه قد جاء من حيز عاش فيه مدة ، والفه ، واطمأن اليه ، ولم يخطر بباله حيز غيره ، ولو خير لكره الخروج عنه الى عالمنا هذا كما يكره أحدنا ان يموت الآن .. نحن أيضا عندما نموت سنجد أنفسنا فى عالم خير من عالمنا هذا ..

الموت بمعنى الفناء ليس هناك .. فبالموت يغير الحى قشرته فقط — يخرج من صدفته التى ظلت تكنه ردحا من الزمن — وهو يكره مفارقتها لجهله بخير منها — فالانسان لا يموت ، وأنما يتخلص من القوقعة كما يتخلص أحدنا من الملابس البالية .. وتبرير الاسلام للموت انه سير الى الله — سير من البعد الى القرب — وهذا لجميع الناس .. « يأيها الانسان أنك كادح الى ربك كدحاً ، فملاقيه » ومن ملاقاة الله الموت ، لأن به رفع الحجاب « لقد كنت فى غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك ، اليوم ، حديد » ..

☼ هل يقول الاسلام — كما يرى الغزالى — بأن العقل محدود ، ولا يرقى الى معرفة الله دون النبوة ؟

نعم !! فالعقل يدل على وجود الله ، لأنه يعلم ، علم بداهة ، أن الاشياء التى نرتفق بها فى حياتنا اليومية ، من ادوات ، لا تصنع نفسها ، وأنها لابد لنا من ان نصنعها لنستطيع الاستمتاع بها ، ومن ثم فأن العالم لابد له من صانع ، هذه مجرد بداهة عند العقل — صانع هذا الكون موجود — ولكن معرفته ، وراء ذلك ، تحتاج الى تعليم .. ومن أجل ذلك جاء الرسل — رسل الملائكة ورسل البشر — فلولا ان جبريل اتصل بالبشر ، ينبئهم عن الله ، ما تنبأوا .. ولولا ان الانبياء جاءوا البشر ، مرسلين ، يعلمون الناس صفات الله ، ما تعلموا .. فالعقل مستعد بطبعه لادراك وجود الله ، ولكنه لابد له

من معلم ليتعلم ، لأن العلم أنما هو بالتعلم •• ثم هو انما يعلم الله فى مستوى افعاله ، وصفاته ، واسمائه ، ذلك لأن له فى هذه مشاركة ، ولأن الثنائية تقع فيها •• أما عند الوحدة المطلقة فتنقطع المشاركة ، ويقع العجز •• وعند عجزه يقع الادراك ، كما سبقت الى ذلك الاشارة •• وليس معنى هذا ان عجز الانسان فضيلة ، وانما عجز عقل الانسان فضيلة فى هذا المقام ، لأنه تواضع أمام عظمة من لم يسجد ، تواضعا عند عتبتها ، هو الجاهل — ثم انه ، بعجز العقل ههنا ، تبدأ قدرة الانسان ، فيصبح قادرا ، قدرة الله ، ومريدا ، ارادة الله ، وعالما ، علم الله ، وحيا ، حياة الله ، ويصبح الله •• وفى هذا الباب يحسن ان تراجع كتابنا « الرسالة الثانية من الاسلام » •

✻ كيف يجب ان تكون علاقة العبد بربه ؟

فى هذا الباب تحدثنا كثيرا فى « رسالة الصلاة » وفى « الرسالة الثانية من الاسلام » فارجو ان ترجع اليهما •• ولكن يمكن ان أقول بايجاز : علاقة العبد بربه يجب ان تكون علاقة المحب بالمحبوب ، وهذه تورث الرضا ، بكل ما يريده المحبوب •• ومن أجل هذا المقام من مقامات العبودية ، شرعت الشرائع ، وفرضت التكاليف ، وسلك السالكون بظمأ النهار ، وقيام الليل ، وبترك الرغائب التى تتهافت عليها نفوس الجاهلين •

✻ ما أهمية الحب بالنسبة للايمان ، فى الاسلام ؟

الايمان ثقة ، والحب يزيد فى الثقة ، فيقوى من الايمان •• والايمان فى الاسلام مرحلة نحو الايقان • وبالايقان يتم الاسلام •• والايقان مراتب علم ثلاث : ادناها من الايمان مرتبة « علم اليقين »،

واوسطها مرتبة « عين اليقين » واعلاها مـرتبة « حق اليقين » ..
وأهمية الحب تزيد كلما أرتقى الانسان من مرتبة الايمان فى مراتب الايقان ، لأن هذه المراتب تتطلب الخلاص من الاغيار ــ « الا لله الدين الخالص »و«الدين» هنا يعنى المعاملة و «الخالص»يعنى المنقى من شـــوائب الشرك .. وللمحبة نار تأكل الشرك كما تأكل النار « الغباش » .. لأنه حــرام فى شريعة المحبة التعــدد .. والى ذلك أشار صاحبنا الذى قال :ــ

اصحابنا اختاروا المحبة مذهبا * وما خالفوا فى مذهب الحب شرعنا

ففى مذهب الحب ، الشريعة التوحيد ..

وقالوا أيضا : « ابت المحبة ان تستعمل المحب لغير المحبوب » .

وهذه أيضا أشارة الى التوحيد .. ونحن لا نعلم محبا ، صادق الحب ، له محبوبان .

فالمحبة هى جوهر التوحيد ، ولقد قال فى ذلك الشـيخ العبيد ودبدر : « الما عنده محبة ما عنده الحبة » يعنى ما عنده من التوحيد مثقال ذرة .. فالمحبة ، التى هى أصـل دعائم المسـيحية حتى لقد قالوا : « الله محبة » عندنا نحن بأوكد مما عنـدهم .. ولكننا نحن نركز على النهج الــذى يحققها ، منذ الوهـلة الاولى ، وذلك فى الشريعة . وهذا النهج هو التوحيـد . ولكن القـرينة بين التوحيد والمحبة لا يتبينها العامة ، وأنما تبينها الصوفية ، كما سـبقت الى ذلك الاشارة .

*** هل تجد سياسة رفض العنف أساسا متينا فى الاسلام ؟**

العنف مرفوض فى الاسلام ولكن ، كما سبق الى ذلك البيان ،

فان شريعة الاسلام ليست هى كل الاسلام ، وأنما هى المدخل على الاسلام ، أو هى الاســلام ، متنزلا الى أرض الناس ــ حسب مداركهم ، واستعدادهم ، وحسب حاجتهم .. ففى أصل الاسلام « ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » وفى أصل الاسلام « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » .. وكثير من الآيات التى تدعو الى سعة الافق ، والاسماح مع المخالفين فى الرأى ، ولكن كل اولئك منســوخ ، فى الشريعة ، ومستبدل بآيات دون هذه فى مستوى التســامح .. مثل « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » أو « يأيها النبى جاهد الكفار ، والمنــافقين ، واغلظ عليهم » أو « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة . » .

فأنت ترى ، اذن ، ان العنف غير مرفوض فى الاســلام ، فى القرآن ، وهو مرفوض أيضا ، فيقع فى خلد غير المحقق ان هنــاك تناقضا فى القرآن ، والامر خلاف ذلك .. ذلك لأن شريعة الاسلام مدخل عليه ، وهى مرحلية ــ هى مرحلة الايمــان من الاســلام ــ وعندما يجىء تشريع الاسلام ، فى اوجه ، فأنه لا يقوم الا على رفض العنف ، وقد جاءت الاجابة على ذلك فى الرد على السؤال نمــرة ٥ فليراجع .

* ما طبيعة براهين وجود الله فى القرآن ؟

الاسلام دين الاميين .. فرســوله امى ، وامته امية .. قال تعالى فى ذلك « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمــة ، وان كانوا ، مــن قبل ، لفى ضلال مبين » والأمية تعنى ســلامة الفطرة من زغــل التحصيل ، وتعقيد التفلســف ، والتنطع الذى يصــحب ، عادة ،

التعليم .. « والاسلام دين الفطرة » التى ساقها النبى تعنى السلامة ، والبراءة ، والصدق ، التى تقرب من السذاجة ، والطفولة ، وهذه نصيب الامى ، عادة ، فيها أكبر من نصيب القارىء ، والمحصل ، والحاذق فى دروب الدنيا المعقدة .

وادلة القرآن فى طبيعتها تتجه الى اشباع حاجة هذه الفطرة الى وجود الله .. فكأن الانسان مفطور بشعور عميق بأن هناك قوة هائلة هى التى اوجدته ، واوجدت الكون من حوله ، بارضه ، وسمائه ، وشمسه ، وقمره ، ونجومه .. ولكن هذه القوة التى يشعر بوجودها ، شعوراً فطرياً ، لا يعرف عنها ، وعن علاقته بها ، ما تطمئن اليه نفسه ، فجاءت أدلة القرآن تدعو الى النظر فى دقة خلق الله ، واحكام هذا الخلق . واغراض هذه الادلة متعددة ، ولكنها ، فى جملتها ، ترمى الى انشاء الثقة فى صدور العباد بقوة ، ومقدرة ، ورحمة هذه القوة الهائلة ، وبوحدتها أيضا .. وهى ترمى ، وراء كل ذلك ، الى انشاء الصلة بين الخالق والخلق ، وكأنها العلاقة بين الاب والابناء — الاب الرحيم ، الحكيم ، القادر على كل شىء ، والمحب لخير ،ومصلحة ابنائه ... فطبيعة براهين وجود الله فى القرآن تتجه الي اشباع الحاجة اليه .. والحاجة اليه قائمة فى كل الصدور — واشباعها يتجه الى وصفه بالقدرة ، والرحمة .. فبقدرته يخاف ، ويطمع فيه — وبرحمته يحب ، وتتوفر اليه الطمأنينة .. فكأنه الأب القادر على توصيل الخير الى أبنائه ، والراغب ، اشد الرغبة ، فى تحقيق مصلحة ابنائه « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا » فعندما ذكر افراده بالعبادة ، ذكر الوالدين ، وخصهم بالاحسان ، وذلك للقرينة بين الأب والرب .

طبيعة براهين القرآن البساطة فى التذكر الى البديهيات التى لا يمكن ان تنسب الى غير الله ، وتوكيد توحيده فى مملكته ، حتى نطمئن الى سعة قدرته •• ثم ، بعد ذلك ، أنشاء هذه العلاقة بيننا وبينه ، حتى تطمئن نفوسنا ، كما تطمئن نفوس الاطفال الى الأب المقتدر ، الحكيم ، الرحيم •• ومع ذلك ، فأن من كمال الاسلام ان هذه البراهين البسيطة ، الصالحة لبداية المبتدىء الساذج ، تطرد ، وتتسامى ، حتى تكون كافية لأنجاب اقوى العقول المفكرة ، واكثرها كفاية ، واقتداراً على دقة النظر •• واشمل آية لطبيعة براهين القرآن على وجود الله قوله تعالى « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق •• أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟ » وآيات الله فى الآفاق تعنى كل ما خلق فى الوجود حولنا من اجرام ، ومن حركات ، وسكنات •• وآيات النفوس مقابلة المعانى فيها لهذه الاجرام •• فكأن الله خلق الوجود على صورة مكبرة ، هى فى الآفاق ، حولنا •• وعلى صورة مصغرة ، هى ما أنطوت عليه النفس البشرية من معان مودعة فى القلب والعقل ، ولذلك فقد قال شاعر العارفين الصوفية :

وتزعم انك جرم صغير ❋ وفيك انطوى العالم الاكبر ؟

والاكبر ، والاصغر ، هنا باعتبار الاحجام المألوفة ، والافان العالم الأكبر هو الانسان ، والعالم الاصغر هو الاكوان •• وفى الانسان الله ، وليس الله فى الاكوان •• فأنه ، فى حديث قدسى ، جاء قوله : « ما وسعنى ارضى ، ولاسمائى ، وانما وسعنى قلب عبدى المؤمن » والسعة هنا ليست مكاناً ، ولكن علما •• ولذلك فأن فى قلب الانسان الحقيقة الازلية التى ما الوجود فى الآفاق الاصورة لها •• ونحن نعلم علم الله كله ، ولكننا نسيناه ، وليس شىء فى

الوجود يعلمنا شيئا مستأنفا ، وأنما الاشياء تذكرنا بالحقيقة المركوزة فينا ، ولكننا نسيناها •• ولذلك فأن الله يقول عن القرآن « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟ » •• فدعوة القرآن ، اذن، الى النظر فى آيات الآفاق انما المراد بها مقابلة الصورة فى الخارج ، بالمعنى فى داخل النفس البشرية ، لينبعث المعنى ، فتعلم النفس •• أو قل لتتذكر ما كانت به عالمة فنسيته •• « وفى الارض آيات للموقنين ✻ وفى انفسكم افلا تبصرون؟ » فاذا تذكرت النفس الحقيقة الازلية المودعة فيها فقد استغنت عن الاستدلال ، والارتفاق بآيات الآفاق ، واصبحت مكتفية بذاتها عنها ، فى معنى ما هى مكتفية بالله ، لأن الذات واحدة ، واصبحت لها قيومية بربها ، لا بالاكوان •• واصبحت تعرف الاكوان بالله ، بعد ان كانت تتعرف الى الله بالاكوان •• وهذا معنى الاشارة ، فى الآية الاولى ، بقوله تعالى « أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟ » وهو قول يحمل معنى التوبيخ ، والعتاب ••

ومن كانت قيوميته بالله ، واستغناؤه بالله ، كان الله ، ولم يكن غيره •• والى ذلك اشار العارف النابلسى حين قال :

ان تكن بالله قائم ✻ لم تكن ، بل انت هو

انت ظل الغيب من اسمائه والشمس هو

فالقرآن ، اذن ، يسوق براهينه بصورة تكفى المبتدىء ، ولا تكلفه شططا ، على ما به من امية ، وسذاجة •• ثم تتسع ، فى نفس الامر ، لأعلى العقول ، واقواها على دقة النظر فى الأمور •

يمكنك ان تقول ، بايجاز ، ان طبيعة براهين القرآن على وجود الله طبيعة من يعرف الحقيقة المطلقة ، ويعرف طاقة النفوس المحدودة فى ادراك هذه الحقيقة على التدرج ، والترقى المستمر ، من بداية

بسيطة ، الى نهاية معقدة تتسامى فى الكمال المطلق الذى هو حظ الله تبارك وتعالى ..

* مفهوم السببية ؟.

السبب فى اللغة الحبل ، والذريعة ، وما يتوصل به الى غيره ، وهو أيضا الطريق .. فيقال ما لى اليه سبب ، أى طريق .. واسباب السماء مراقيها .. ويقال تعاطى الاسباب ، وهم يعنون انه اخذ ، واعطى ، طلبا لتحصيل ما يحتاج اليه فى أمر معيشته .. وفى القرآن يحدثنا تعالى عن ذى القرنين « ويسألونك عن ذى القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا * انا مكنا له فى الارض ، وآتيناه من كل شىء سببا * فاتبع سببا » فآتيناه « من كل شىء سببا » يعنى ذريعة توصله الى تنفيذ ما يريد .. « فاتبع سببا » يعنى سلك طريقا .

وأمر السببية فى الاسلام على مستويين : مستوى الشريعة ، وهو مستوى يقوم على اعتبار ان الله رتب الاسباب ترتيبا حكيما يتأدى به الانسان الى تدبير أمر معاشه بالاجتهاد المشروع .. فالله هو الذى اوجد التربة الصالحة للزراعة ، والله هو الذى اوجد البذرة الصالحة للنمو ، والله هو الذى انزل الماء على الارض فى موسم الانبات فاحياها بعد موتها .. هذه كلها اسباب ضرورية ، وبقى سبب ، أو اسباب اخرى على الانسان الاخذ بها ، وهى بذر البذرة فى التربة ، وتعهدها حتى تستحصد « فأن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » كما قال عمر بن الخطاب ، ولكن باسباب من الله ، واسباب يظن الانسان أنها منه ، يتم الانتاج ، وتمضى الحياة فى سبيلها ، متطورة ، مترقية مراقى الرخاء المادى ، ومراقى المعرفة بالله ، لأن الصراع فى زحمة الاسباب المشتركة بيننا وبين الله يهدينا ، بفضل

الله ، ثم بفضل القرآن ، الى الله بصورة واضحة •• اسمع القرآن ، من سورة الواقعة ، كيف يحدثنا عن هذه الاسباب المشتركة ، وهو حديث يؤكد لك ما حدثناك عنه من طبيعة البراهين فى القرآن على وجود الله •

« نحن خلقناكم ، فلولا تصدقون * أفرأيتم ما تمنون ؟ * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ * نحن قدرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين * على ان نبدل امثالكم ، وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الاولى ، فلولا تذكرون ؟ * أفرأيتم ما تحرثون ؟ * أأنتم تزرعونه ؟ أم نحن الزارعون ؟ * لو نشاء لجعلناه حطاما ، فظلتم تفكهون * انا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ * أأنتم انزلتموه من المزن ؟ أم نحن المنزلون ؟ * لو نشاء جعلناه اجاجا ، فلولا تشكرون ؟ * أفرأيتم النار التى تورون ؟ * أأنتم انشأتم شجرتها ؟ أم نحن المنشئون ؟ * نحن جعلناها تذكرة ، ومتاعا ، للمقوين !! * فسبح باسم ربك العظيم !! » •

فهذه آيات كلها تظهر لنا قدرته ، ورحمته ، وتنشىء الصلة ، بيننا وبينه ، بمقارنة اسبابنا الى اسبابه ، واظهار قوة اسبابه هو ، وضعف اسبابنا نحن ، واحاطته باسبابنا ، حتى لو شاء لجعلها لا جدوى منها • وقد ختمها بقوله تعالى « فسبح باسم ربك العظيم !! » والرب هنا تحمل ايضا معنى الأب الرحيم •• والآيات تعطينا سلسلة من الاسباب المؤدية الى اسباب •• هذا فى ظاهر الأمر ، وهو ما عليه الشريعة •• ولكن ، فى حقيقة الدين ، ليس هناك سبب يؤدى الى سبب ، اطلاقاً ، وأنما الاسباب سلسلة من استعداد المحل بالقابلية لتلقى الحركة المقبلة عن الله • فكأن الأمر كله حكمة اختفى

الله وراءها ، الا عن العقول التى استنارت بنور التوحيد •• فليس من التوحيد ان تظن ان سبب الاحراق النار ، فأن وجدت ، وجد الاحراق ، حتماً مقضياً •• قد ظن هذا الظن النمروذ ، صاحب ابراهيم الخليل ، الذى أمر باحراقه ، واعد ناره ، ومنجنيقه ، وقذف بابراهيم فيها ، فما هالهم الا وجود ابراهيم سالماً ، عندما خمد اوار النار ، ذلك بأن الاذن الآلهى بالاحراق لم يصدر للنار — استعد المحل للاحراق، ولم يصدر الاذن بالاحراق — فلم يحدث •• بل صدر الأمر بقوله تعالى « يا نار !! كونى برداً ، وسلاماً ، على ابراهيم » •• عندما نجود فهم مسألة الاسباب ، وذلك باتقان العبادة فى مراقى التوحيد ، يظهر لنا ان الاسباب كلها تنتهى الى سبب واحد ، هو الله ••

قال تعالى ، فى ذلك : « وأمر اهلك بالصلاة ، واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى » وقال ، من سورة الذاريات : « وما خلقت الجن ، والانس ، الا ليعبدون * ما اريد منهم من رزق ، وما اريد ان يطعمون * ان الله هو الرزاق ، ذو القوة ، المتين •• » فكأن سبب الرزق ، فى آخر الأمر ، هو معرفة الله، لا اتخاذ الاسباب •• ويظهر هذا الأمر جليا فى موعود الجنة ، لأهل الجنة •• فهم يرزقون فيها بالهمم •• قال تعالى : « لهم ما يشاءون فيها •• ولدينا مزيد !! » وما ذاك الا لأن الجنة هى دار العارفين بالله •• ولو ان أهل الارض عرفوا الله ، حق معرفته ، لكان لهم شأن، غير شأنهم الحاضر •• قال تعالى ، من سورة الاعراف : « ولو ان أهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء ، والارض ، ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون • » ••

ولقد قال المعصوم « لو توكلتم على الله ، حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، ولعلمتم العلم الذى لا جهـل بعده ، وما علم ذلك احد .. قالوا : ولا أنت ؟ قال : ولا انا !! قالوا : ما كنا نظن الانبياء تقصر عن شىء !! قال : ان الله اجـل ، واخطر ، من ان يحيط بمـا عنده احد !! »

وعندما هاجر النبى ، مع اصحابه الى المدينة ، وجد الانصـار يلقحون النخل ، فقال لهم مرة : « لو لم تلقحوه لاثمر » فتركوه ، فلما لم يثمر قالوا له : « يارسول الله !! لقد اخبرتنا انا لو لم نلقح النخيل لأثمر ، فلم نلقحه ، فما أثمـر .. » فقال لهم : « اعملوا فأنتم اعلم بأمور دنياكم » فعادوا لتلقيح النخيل ، كسابق عادتهم .. ولقد كان مراد النبى بقوله « انتم اعلم بأمور دنياكم » ان دنياكم دنيا الاسباب ، ولذلك فلابد لكم من الاخذ بالاسباب .. ولو كنتم ممن لا يرى الاسباب لما تخلف النخيـل عن الأثمـار .. وقد اخطأ بعض رجال الدين ، ومنهم الاستاذ خالد محمد خالد ، فى فهم العبارة النبوية ، فظن انها دليل على ان ليس فى الاسلام نظام حكومة ، وانما جاء النبى ليعلم الناس أمـــور دينهم فقط ، بدليل انه قال لهم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » — وليس هناك شىء هو امعن فى الخطأ ، ولا ابعد عن الصواب ، فى أمر الاسلام ، من هذا الفهم ..

وكان الصوفية يروضون انفسهم فى الارتقاء فى الاسباب ، من الأخذ بها ، فى مرحلة الشريعة ، الى اسقاطها ، فى مرحلة الحقيقة ، ثم الرجوع للاخذ بها فى مرحلة الاستواء ، وهى مرحلة الجمع بين الحقيقة ، والشريعة .. ويكونون ، حالتئذ ، ممن يتعاطون الاسباب ،

من غير ان يغيبوا لحظة عن مسبب الاسباب •• فكأنهم يأخذون بالاسباب من غير ان يقفوا مع الاسباب ، كما هى الحالة عادة مع صاحب الشريعة فقط • وهم يسمون هذا النهج من الرياضة « التوكل » ، وهو عندهم الا تأخذ بسبب يوصلك الى سبب حتى يكون مسبب الاسباب هو الذى يتولاك • فكان احدهم يسير فى الصحراء ، من غير زاد ، ولا ماء ، حتى اذا اشرف على الهلاك ، ظهرت له فجأة قافلة ، أو وجد أهل بيت قدموا له الغذاء ، والماء ، زادت نفسه يقينا بأن الله هو الرزاق لمن يتوكل عليه ، وهكذا ، قليلا ، قليلا ، حتى تستوى على اليقين • ثم بعد ذلك يأخذ فى الاسباب ، تأدبا بأدب الشريعة ، ولا ترى نفسه ، بعد ذلك ، ان الاسباب هى الاصل فى توصيل الارزاق ، ولذلك فأنه لا يكون حريصا فى تعاطيها ، ولا مبالغا فى توخيها •• فتراه مطمئن النفس ، مقتصداً فى الطلب •• فبترك الاسباب ، عندهم ، يكون تصحيح حالهم فى التوكل ، ثم ، بعد معاناة طويلة ، وتجربة مثمرة ، يبدأون فى العودة الى الاخذ بالاسباب ، ويسمون هذه بالفناء عن التوكل •• وهم لا يتركون الاسباب ، ولا يأخذون بها ، فى رياضتهم ، الا عن ذوق اكيد • لا عن ظن ، ولا حديث نفس • قال احدهم مرة ، لما ترك بغير ذوق •• « تركت الاسباب ، فعدت الى الاسباب ، وتركتنى الاسباب ، فلم تعد الى الاسباب » •

وقال ابن عطاء الله السكندرى ، فى حكمه ، مخاطبا السالكين الى الله •• « ارادتك التجريد ، مع اقامته اياك فى الاسباب ، من الشهوة الخفية •• وارادتك الاسباب ، مع اقامته اياك فى التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية »

فالسبب فى الشريعة قائم ، ولكنه فى الحقيقة ساقط .. وصاحب الشريعة وحدها ما يكون له ان يدعى حال صاحب الحقيقة ، فيسقط الاسباب ، وما ينبغى له ، وما يستطيع . وهو ان ادعاها امتحن ، حتى يرجع الى الاسباب ، كما قال صاحبنا الذى قال « تركت الاسباب فعدت الى الاسباب » ..

وصاحب الحقيقة ، حين يسقط الاسباب ، يكون فى حالة فناء ، وهى مرحلة سلوكية ، فاذا جودها السالك خرج منها الى مقام البقاء ، وجمع يومئذ بين الشريعة والحقيقة ، فيأخذ فى الاسباب فى اعتدال ، واقتصاد .. ولا يعنى هذا الاهمال فى توخيها ، ولا السلبية فى النظر اليها ، وانما يعنى اتقانها ، كل الاتقان ، ثم الرضا عما يبديه الله له من فشل .. اذا كان الفشل .. فاذا كان النجاح ، فلا يجب ان يستخفه الفرح ، ولا ان يذهب بوقار نفسه ، ولا اعتدال اخلاقه .. فأن الله لا يحب الفرحين ، خفاف الاحلام ..

وبعد فأن هذا ما يسر الله ، تبارك وتعالى ، فى أمر اسئلتك .. وقد توخيت فيها الاختصار ، فلعل الله ان ينفع بها ، أنه سميع مجيب ..

محمود محمد طه

امدرمان ــ ٢٧ رمضان ١٣٨٧

الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الابن المبارك أحمد الحسين الحسن

تحية طيبة وبعد فأنه يسعدنى حقا أن أجـــد الوقت للاجابة على اسئلتك الذكية، التى انبعثت، فى غالبيتها من اطلاعك على اسئلة الاستاذ السنوسى والاجوبة عليها ، وهذه الاسئلة تعطينى الفرصة للتوسـيع ، والتفريع ، على اجوبة بعض اسئلة الاستاذ السنوسى :ـ

✻ الايمان بوجود الله ـ هل هو غاية أم وسيلة ـ اعنى هل هـو بداية كل خـــير ؟

الجواب : الايمان بوجود الله وسيلة .. والغاية الانسان . وذلك لانه بالايمان تبدأ حوالة المشـــاكل الكبرى على الله ، فتبدأ طمأنينة النفس في مواجهة ما يكربها من الآفات .. وليس فى الوجود خير الا ويأخذ مبدأه من الايمان بالله ـ قال تعالى « ان الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم بايمانهم ، تجرى من تحتهم الانهار ، فى جنات النعيم » وليس هناك عمل ، لا يقوم على الايمان ، يمكن ان يكـــون صالحا ، قال تعالى في ذلك : « وقدمنا الى ما عملوا مـــن عمل فجعلناه هباء منثوراً » وذلك لأن الايمان يقوم مقام الفكر ، حين يعجز الفكر ـ ومقام الفكر ، من الاعمال ، هو مقام الروح من الجسد ـ ومعلوم انه لا صلاح للاجساد بدون الارواح .. هل الايمان بداية كل خير ؟ نعم ، وهو في ذاته خير ، ولا سبيل الى الخير بدونه ..

*** هل الايمان بالله ضرورى كحافز لعمل الخير ؟ اذا أوجدنا للماركسية حوافز انسانية ، غير حوافز الخوف ، والتضليل ، ولكن هذه الحوافز لا تحوى الايمان ، هل تقترب من الكمال ؟**

الجواب : ليست هناك حوافز انسانية لاتحوى الايمان ؛ لأن انسانية الانسان انما تتحقق باقامة العلاقة بينه وبين الله .. ولقد يظهر لنا اننا نستطيع ان نتحدث عن الانسانية بدون ايراد ذكر الله ، ولكن ، لدى تحقيق الانسانية في مضمار الفكر ، والسلوك البشرى ، لا يكون امر بغير الايمان بالله . فكأنك لا تستطيع ان توجد للماركسية حوافز انتاج لا تقوم على الخوف والتضليل ، وذلك لسبب واحد ، بسيط ، هو ان الماركسية ، بطبيعتها ، لا تستطيع ان تقدم للانسان غير الخوف ، والتضليل ، حين قطعت العلاقة بالله ، وبالايمان .. ان الانسانية تتطلب هزيمة الماركسية ، لان الطريق الى الاشتراكية أولا ، والى الشيوعية ثانيا ، والى الديمقراطية ، مع هذه وتلك ، لايقع الا على انقاض الماركسية .. هذه حقيقة لم تتضح معالمها للناس بعد ، ولكنها ستتضح عماقريب ، ان شاء الله .. فالماركسية اكثر الفلسفات المعروفات خطأ ، واقلها انسانية ..

*** الا يمكننا ان نكون انسانيين ، واخلاقيين ، واصحاب ضمائر ، من غير ان نؤمن بالله ؟**

الجواب : بهذه المناسبة احب ان انبه الى ان الايمان بالله يقع على مستويين : مستوى مشعور به في العقل الواعى ، وهذا هو الايمان الذى نقصده دائما بالعبارة ، عندما نتحدث . ومستوى غير مشعور به

في العقل الواعى ، وانما هو مترسب فى العقل الباطن ، وهذا لا يخلو منه موجود في الأرض ، ولا فى السماء .. لأنه القيومية التى قامت بها الاشياء .. فاذا علمت هذا ، علمت انك لايمكن ان تكون ـ مجرد كيان ـ دع عنك ان تكون انسانيا ، أو اخلاقيا ، بغير الايمان .. فاذا اعتبرت ان الملحد قد يكون على طرف من الانسانية ، والاخلاقية ، والضمير ، كما هو مشاهد في بعض الاحيان ، فانما ذلك لأن ما تراه عنده يرجع ايضا الى الايمان بالله ، ولكن الملحد غير شاعر بهذا الايمان .. فحاصل الامر انك لايمكن انتكون اخلاقيا ، ولاانسانيا ، بصورة تثبت على الابتلاء ، والامتحان ، الا اذا كنت مؤمنا ايمانا مشعورا به .. والا ، فان الله يبتلى المدعين ، ويفضحهم في عقر دارهم .. قال تعالى « الم * احسب الناس أن يتركوا ، أن يقولوا آمنا ، وهم لا يفتنون ؟ * ولقد فتنا الذين من قبلهم .. فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين * ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون . » .. وعبارة « ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ؟ ساء مايحكمون . » تعنى : هل يظن الذين يجحدون الايمان أن يتركوا على جحدهم هذا الى الابد ؟ لقد اخطأوا الحكم اذن ..

ثم ما هى الانسانية ؟ وما هى الاخلاقية التى تفكر فيها انت ، وافكر فيها أنا ؟ فاما الانسانية فهى القيمة الاخلاقية التى تميز بها الانسان عن الحيوان ، وعن الملك .. فهناك ، مثلا ، في الحيوات العليا الحيوان ، والانسان ، والملك .. فالانسانية صفة وسطى بين الحيوان ، والملك .. هى نقطة التقاء الحيوان والملك .. وهى اكمل من كليهما ، وذلك لمكان الحرية فيها ، وهنا تجىء الاخلاقية .. فان الاخلاق هى

حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة •• والحـــرية من حيث هى مقيدة ، أو مطلقة ، انماهى نفحة من الله تضوعت على ارض الانسانية• وانما يجىء القيد من عجزنا نحن عن التلقى عن المطلق••فالحرية المقيدة، انما هى تلق نسبى، عن الحرية المطلقة••والحرية المطلقة هى الله••لانها صفته ، ولانها اخلاقه •• ومن اجل ذلك قال المعصوم « تخلقوا باخلاق الله : ان ربى على صراط مستقيم » وقال تعالى « كونوا ربانيين ، بمـا كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون » أى كونوا علماء وكونوا أحرارا بغير حدود للحرية ، الاحدودا تجىء من واجب حسن التصرف في الحرية • وهذه هى الاخلاقية التى تسأل عنها انت ، وهى هى التى جعلت الانسان انسانا ، فوق مرتبة الحيوان ، وفوق مرتبة الملك • ويتضح لك ، من هذه الاسطر ، ان الايمان اصل فيها ، وهو اصل يصحبها في جميع مراقيها ، وهى تنطلق من الحرية المحدودة ، الى الحرية المطلقة •

※ كيف نفرق بين ما هـــو صـــحيح ، وما هو خاطىء ، من القيم الانسانية ؟ كيف اعـــرف انى تدخلت فى حـــرية غيرى اذا كان غيرى يسره ذلك ؟

الجواب : معرفة ما هـــو صحيح ، وما هـــو خاطىء مـــن القيم الانسانية يحتاج الى علم ، مافي ذلك ادنى ريب ، وبخاصة عندما تدق الامور • فقد قال المعصوم « الحرام بين ، والحلال بين ، وبينهما امور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، ولعرضه ، » وقال مرة «الحرام ما حاك في نفسك ، وخشيت ان يطلع عليه الناس » فالامر في معرفة الصحيح والخطأ الغليظين اذن واضح ، ولكن الحيرة تجىء عندما تدق المعانى ، بالقرب من خط الاستواء ، حيث تنعدم الظلال ••

فان التميز عندئذ يحتاج الى قوة فكر ، وحدة ذكاء ، لايكتسبان الا عن طريق ممارسة العبادة . فان الله تعالى يقول « يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم » والفرقان هو النور الذى به يكون التمييز بين الخطأ والصواب من القيم الانسانية ، عندما تدق الامور ، ويقع اللبس بين صور الاشياء ..

وللاجابة على الشطر الثانى فان الفيصل في الحكم على معاملتك الناس هو ان تعامل الناس كما تحب ان يعاملوك .. ضع نفسك مكان من تعامل .. والقاعدة الرفيعة جدا هى ان يعامل كل انسان وكأنه غاية في نفسه ، فلا يتخذ وسيلة الى غاية وراءه .. ولن يكون الحكم على صحة المعاملة رضا الطرف الاخر عنها ، وانما رضا الحق عنها .. وذلك لان الطرف الاخر قد يكون جاهلا .. وقد يكون مختل القوى العقلية .. فتكون حينئذ انت المسئول عنه ..

*** هل يمكننا اليوم ان نعتبر بعض الناس قصرا ، والاخرين رشداء ، وبالتالى نخول للرشداء الولاية على القصر ؟؟**

الجواب : لا !! القاعده الذهبية التى يجب الا تغيب عن اذهاننا هى انه ليس هناك رجل هو من الكمال بحيث يؤتمن على حريات الآخرين ، فثمن الحرية الفردية هو دوام سهر كل فرد عليها .. هذه القاعدة الذهبية تؤخذ من الآيتين ، الكريمتين .. « فذكر أنما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر » وقد اعتبرت هاتان الآيتان منسوختين في حق الامة المؤمنة قبل اربعة عشرقرنا ، واستعيض عنهما بآية الوصاية ـ آية الشورى ـ « وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت ، فتوكل على الله » ..

واليوم ، ونحن نستقبل فجر الامة المسلمة ، فقد أنى للآيتين المنسوختين « فذكر انما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر » ان تبعثا ، ليكـون العمل عليهما ، وللآية الناسخة ، التى كانت صاحبة الوقت في القـرن السابع ، ان تنسخ ، لأن وقتها قد مضى ، وسيجىء يوم ، في المستقبل ، عندما تبدأ البشرية تنحدر ، بعد ان تكون قد بلغت أوجها ، يكـون فيه لآية القرن السابع هذه ، مجال تبعث فيه من جديد .. فكأن النسخ متداول بين الآيتين هاتين وبين آية الشورى .. فالآيتان تنسخان مرتين ، وتطبقان مرة واحدة .وآية الشورى تنسخ مرة واحدة ، وتطبق مرتين.. وفي تطبيقها الاخير تكون البشرية قد اخذت فى الانحدار ، ثم لايكون لها ارتفاع ثانية ، الا يسيرا .. فتسير بذلك من مرحلة الشورى ، الى مرحلة يستبد فيها بها حكامها .. ثم لا يكون صلاح ، وانما فسـاد ، يتلوه فساد اكبر منه ، فيصير الناس ، بذلك ، ما يبكـون من شىء الا بكوا عليه ، لسوء مايعقبه ، الى أن تقوم الساعة ، ويحل الخراب ..

* ما علة وجـود الله ؟

الجواب : ليس لله علة وجود .. لان وجوده مطلق .. فهو عـلة وجوده ، فالعلة ، بالمعنى المتعارف ، سبب سابق على المعلول ، وليس وجود الله تعالى بمسبوق بوجود .. وهو واجب الوجـود لذاته ، وبذلك فهو علة وجوده .. وليست هذه العلة هى ما تسأل انت عنـه هنا .. فان سألت عن علة وجود الخلق فالجـواب عتيد .. فانما عـلة وجود الخلق ان يكونوا كاملين عن طريق العبادة ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « وما خلقت الجن ، والانس ، الا ليعبدون »

٭ هل يمكن للانسان ، بتركيز الشعور ، والفكر ، ان يتحــرر من الالم .. هل يمكن ان يحصل ذلك فى لحظات ؟

الجواب : طريق الخلاص من الألم ، في جميع صوره ؛ هو قوة الفكر ، وسعة الشعور .. والحياة الكاملة ، المتحررة من الآفات ، والنقائص ، والموت ، هى حياة الفكر ، وحياة الشعور .. وليس طريق هذه الحياة بتركيز الفكر ، وانما بتحرير الفكر من رواسب الخوف ، وسـيطرة الاوهام .. ويتبع هذا التحرير سعة في الشعور .. ولكن قد يوجد من يصل الى المقدرة على التركيز دون التحرير ، كما يفعل فقراء الهنـود ؛ فتكون له ، في لحظات ، ومضة من حياة الفكر ، وحياة الشعور ؛ بهـا يقهر الالم .. ولكن ذلك خلاف الأولى .. اذ الاولى ان نصل الى هذه المرتبة عن طريق التحرير الوئيد الذى يجىء نتيجة المعرفة بالله .. وذلك عن طريق ترك الارادة ، تسليما للارادة التى احاطت بكل شىء ، لا عن طريق تركيز الارادة ...

٭ هل يمكن للانسان ان يصــل مرتبة الحقيقة من غير ان يمــر بمرتبة الشريعة الكاملة ؟

الجواب : لا !! .. وفي واقع الامر فان الشريعة هى طرف الحقيقـة القريب منا .. هى المدخل على الحقيقة .. ولكن الشريعة قـد تكون فردية ؛ كما هى في حالة الانبياء ، والرسل ، وقد تكون جماعية كمـا هى فى حالة اتباع الرسل .. ففى حالة اتباع الرسل فان الامر واضح ، فانه ليس هناك وصول الى الحقيقة الا عن طريق الشريعة .. واما في حالة الانبياء والرسل فان شريعة ايهما طرف مـن حقيقته .. ويمكـن القول ، اذن ، على هذين الاعتبارين ، ان ليس هناك وصول الى الحقيقة الا عن طريق الشريعة .

وقد تجد بعض المجاذيب يخلط في الشريعة ، ويكون ، مع ذلك ، على جانب من الحقيقة ، وليس يعنى هذا انه وصل الى الحقيقة بغير الشريعة ، وانما وصل الى ما وصل اليه من حقيقة عن طريق شريعة مخلوطة .. شيء منها شريعة جماعية ، وشيء منها شريعة فردية ... ثم ان المجذوب لا يمكن ان يصل الى حقيقة واضحة ، ومستقيمة ، وانما حقيقته ايضا مشوشة كشريعته ..

*** ما حكم الشك ؟ وكيف نصل اليقين ؟**

الجواب : الشك طرف من الايمان ، مالم يزد عن حده فيصبح تقريرا واثباتا لخلاف ما يجب الايمان به .. فان لم يكن كذلك ، فانه وقود للايمان ، وقوة له ، به ينمو ، ويزيد .. واليقين هو زيادة الايمان ، حتى يتجاوز مرحلة العقيدة ، الى مرحلة العلم .. وادناها علم اليقين ، واوسطها عين اليقين ، واعلاها حق اليقين .. وطريق زيادة الايمان العبادة ، والمعاملة .. واهم العبادة ، بعد المكتوبة ، قيام الليل بالصلاة ، في الثلث الاخير ، والاكثار من صيام النهار .. والقاعدة ، فى المعاملة ، ان تعامل الناس بما تحب ان يعاملوك به ..

*** حين تقول بامكانية تحرر الانسان من الخوف بمقدار علمه اتعنى ان هذا التحرر نسبى بقدر نسبية علم الانسان الى علم الله ؟**

الجواب : نعم

*** يقول سارتر ليس هناك قدرة ما لم تظهر فى العمل (اذا كان فى**

امكانك ان تفعل شيئا ولم تفعله فما كان فى امكانك) وتقول انت ان المخلوقات هى مظاهر قدرة الله . هــل كان يمكن ان يكون الله قادرا من غير ان يخلق المخلوقات ؟

الجواب : الخلق يقع في ثلاث مراتب : مرتبة العلم ، ومرتبة الارادة ، ومرتبة القدرة .. وهذه الصفات الثلاث تعنى هذه المراتب ، العالم ، المريد ، القادر .. فالعالم احاط علما بالمخلوق ، والمريد حدد ، وخصص الصورة الأولى التى يبرز فيها المخلوق ، والقادر ابرز المخلوق الى حيز الوجود ، وفق احاطة العلم وتخصيص الارادة .. والى ذلك الاشــارة بقوله تعالى « ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين » وهذه الصــفات الثلاث موجودة في كل واحدة منها ، ففى العالم موجودة صفتا المريد والقادر، وفي المريد ، موجودة صفتا العالم، والقادر، وفى القادر موجودة صفتا العالم ، والمريد .. فهى ثلاث صفات و « الثلاثة واحد » .. فكأن العالم قادر ، وهو يعرف قدرته ، وان جهلها من عداه .. وكل عــلم لا يحوى القدرة فهو علم ناقص .. وهذا حظ البشر،ولكن علم الله كامل، والله به قادر .. كان ، ولم يزل ، ولن ينفك .. فكأننا نحن البشر قد نعلم ، ولا نريد ، واذا أردنا قد لا نقدر ، وذلك لنقص علمنا .. وهذا مايتفق مــع قولة ســـارتر ..

واما قولنا ان المخلوقات هى مظاهر قدرة الله فيعنى ان الله ظهر لعباده في مخلوقاته . فالقدرة موجودة ازلا ، وابدا ، وسرمدا ، ولكنها كل يوم تظهر للعارفين ، فيزدادوا بالله معرفة .. وهذا معنى قــوله

تعالى في حق نفسه « كل يوم هو فى شأن » فشأنه تعالى هو اظهار ذاته لعباده بعلمه وارادته وقدرته ‥ فهو شأن يبديه ولايبتديه ‥

*** هل الروح شىء اصيل فى المادة ، ام هى شىء قائم بذاته ، ام هى ميكانيكية ، كما يقول بعض الفلاسفة ؟ (الاجابة التى وردت على السؤال نمرة ١٣ من اسئلة السنوسى تكاد تكون واضحة ولكنها « ميتافيزيقية » فيما يختص بالروح)**

الجواب : عبارة «ميتافيزيقية» تستعمل في مقابلة عبارة «فيزيقية» عادة ‥ « فيزيقية » تقال عن الوجود المادى ، الظاهر ، المؤثر في الحواس ٠ و « ميتافيزيقية » تقال عن الوجود النظرى ، المجرد ، الذى لا يؤثر في الحواس ، ولكن يدرك بالعقل ، ويتصور ، على نحو من الانحاء ‥ والكلام عندنا عن الروح لا يوصف بانه « ميتافيزيقى » لاننا نقول ان المادة المحسوسة ، الظاهرة للحواس ، روح ، ولكنها في حالة من الاهتزاز تتأثر بها الحواس ‥ والروح — في المدلول الشائع عنها — مادة فى حالة من الاهتزاز لا تتأثر بها حواسنا ‥ فالامر عندنا وحدة وليس ينطبق عليه تعبير « الفيزيقية » و « الميتافيزيقية » ‥ فالوجود وحدة ، ذات شكل هرمى ، قاعدته مادة ، وقمته روح ‥ والاختلاف بين القاعدة ، والقمة ، اختلاف مقدار ، وليس اختلاف نوع ٠

*** معارضتكم لجبهة الميثاق هل ترتكز اساسا على تقديركم ان الناس يمكنهم الآن ان يتجاوزوا مرتبة الشرائع الى مرتبة الحقائق — اعنى هل آن الأوان لفكرتكم ان تطبق ؟**

الجواب : ان فكرتنا لا تقوم على ان الناس يمكن أن يتجاوزوا مرتبة الشرائع الى مرتبة الحقائق ‥ فالناس سيظلون دائما في مرتبة الشرائع ،

وما مرتبة الحقائق الا حظوظ فردية ، وهى مرتبة للتعامل تدخل في منطقة الاخلاق .. وهذه مرتبة اسمى من مرتبة الشرائع ، ولا يلزم احد بها احدا ، حين تكون مرتبة الشرائع ملزمة ، ومنفذة على كل الناس .. فكأن مرتبة الشرائع تمثل الحد الادنى من مستويات السلوك ، وهو مستوى يطلب ، بالقانون من كل مواطن .. ويندب كل مواطن الى السلوك في مستوى الاخلاق ، ندبا غير ملزم قانونا ، وقد يكون ملزما عرفا ، ودينا .. ولما كانت الشريعة تمثل الحد الادنى من مستويات السلوك فان لكل مجتمع ، في كل زمان ، مستوى قد يختلف عن مستوى سلفه .. ومن اجل ذلك فان شريعته قد تختلف .. ولن يكون الاختلاف اختلاف نوع ، وانماسيكون اختلاف مقدار .. كأن يرتفع الحد الادنى ، الملزم للناس كلهم ، فيدخل فى حيزه امورا كانت، فيما مضى ، فى حيز الاخلاق التى يندب اليها افراد المجتمع ندبا غير ملزم كما سبق ان قررنا .. وهذا يتأتى عن طريق تطوير الشريعة في بعض صورها التى استنفدت طاقتها ، ولم تعد قادرة على استيعاب حاجة افراد المجتمع الجديد .. والتطوير يعنى عندنا الارتفاع من نص ، في القرآن ، كان صاحب الوقت فى القرن السابع الميلادى ، الى نص ، في القرآن ، كان مدخرا ، يومئذ ، للانسانية تطبقه حين يصبح في طوقها تطبيقه — تطوير لبعض صور الشريعة الاسلامية التى خدمت اغراض مجتمع القرن السابع خير خدمة ، واصبحت قاصرة عن خدمة اغراض مجتمع القرن العشرين ، أو لاتطوير — هذا هو مجال المعارضة ، والمفارقة ، بين فكرتنا الاسلامية ، وفكرة جبهة الميثاق ، والدعاة السلفيين جميعا .. اننا والسلفيين نتفق ونختلف .. نتفق فى ان الشريعة الاسلامية كاملة.. ونختلف ، اذ يعتقدون ان كمال الشريعة الاسلامية في ثباتها على صورة

واحدة •• ونعتقد نحن ان كمالها في كونها جسما ، ناميا ، حيا ، قادرا على التطور ، ومواكبة حياة المجتمع البشرى ، الذى ينمو ويطرد نموه بغير توقف ••

تطوير الشريعة الاسلامية عندنا يقع على جانب المعاملات فيما يختص بأمر المال ، وأمر السياسة •• اما الحدود ، واما القصاص ، واما العبادات فأنها لا تكاد تتطور ••

وعجز السؤال الخاص برأينا فيما اذا كان الاوان قد آن لفكرتنا ان تطبق • نجيب عليه ، بكل تأكيد ، ان الناس لا يمكن ان يصلح حالهم بغير الاسلام ، منذ اليوم ، وان الاسلام ما هو الا ما ندعو اليه نحن ، دون سائر الداعين •• فأن رآى الناس دعوتنا غريبة فليذكروا نبوءة المعصوم حين قال « بدأ الدين غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء !! قالوا من الغرباء يا رسول الله ؟ قال الذين يحيون سنتى بعد اندثارها » •• ليس بين الدعاة من يعرف سنة المعصوم ، ويدعو الى احيائها ، بلسان الحال ، وبلسان المقال غيرى ، وغير اصحابى ••

※ اذا انتهيت عن اتيان الذنب لأنه يشقينى ، لا لأنه محرم : هل يكفى ؟

الجواب لا !! لانك قد تجعل من نفسك حكما على الأمور •• فما يشقيك تترك اتيانه ، وما يسعدك تأتيه •• وقد يسعدك عمل هو ، عند الله ، من موجبات الشقاء •• الفيصل فى هذا الباب قولة المعصوم « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » فأن كنت تقصد من سؤالك هذا ، كما يمكن ان يشتم منه ، أنك ستترك الحرام ولكن ليس من خوف العقوبة عليه ، وانما لانك تشعر بأن فعل الحرام

يؤذى نفسك ، فأنك تكون بذلك قريبا من رأى العباد المجـودين ، الذين قالوا « طاعة الله ، خوف عقابه ، وابتغاء ثوابه : متاجـرة •• وهى عمل لا يليق بكبار الرجـال •• لأن الله خليق ان يطاع ، وان يعبد ، لتمام جماله ، وكماله ، وان لم يخلق الجنـة للثواب ، والنار للعقاب » •• المهم فى أمرك ان تأخذ ضوابط سلوكك من الشريعة ، حتى يجد عقلك التوجيه السليم ، من أمـر خارج عنه ، حين تلتبس المسالك ، وتختلط السبل ••

※ الى أى حد تؤمنون بأن الغاية تبرر الوسيلة ؟

الجواب : الغاية لا تبرر الوسيلة ، ولكنها تحددها ، لأن الوسيلة طرف من الغاية •• فالغاية العليا ، كالحرية ، لا يمكن التوسـل الى منازلها بالوسيلة الدنيا ، كالنفاق ، مثلا ••

※ هل الابعاد المعروفة تأخـذ دلالاتها فى المكان المطلق ، كما عرفه نيوتن • وكيف يكون الله هو البعد الرابع ، كما ذكرت انت فى اجابتك للاخ السنوسى ؟

الجواب : أول ما تجب الاشارة اليه هو انه ليس هناك مكان مطلق •• ولقد عرف نيوتن ما اسماه مكانا مطلقا بالعبارة الآتية : « المكان المطلق يبقى ، بطبيعته ، مستقلا عن أى ارتباط بالاشياء الخارجية ، ويظل ، سرمديا ، لا حراك به ، مشـابها ، دوما ، لذاته » ان المكان مادة ، والمادة لا ثبات لها ، فهى فى حركة دءوب ــ حركة فى الصيرورة من الكم الى الكيف ــ فأن الحركة هى المادة ، وبنفس هذا القدر ، فليس هناك « زمان مطلق » كما زعم نيوتن ، لأن الزمن أنما هو وليد المادة ، هو هيئة المادة ، هو حركة •• ولكن ما اسماه نيوتن « بالمكان

المطلق » و « بالزمان المطلق » انما هو الموجـــود المطلق الوجود ، الذى يؤثر ولا يتأثر ، ويحرك ولا يتحرك .. انما هو الله ، سبحانه وتعالى .. وتسميته ، سـبحانه وتعـــالى ، بالمكان ، أو بالزمان ، جائزة ، على شرط ان نعـرف انه غير ما نتخيـــل من المكان ، ومن الزمان ... فأن كل ما فى الوجود اسماء لله ، تبارك وتعــالى ، ولكن على نحو يتناهى فى الكمال ، حتى يخرج عن التصــور ، ويجهل فيه الكيف .. فاذا علمت هذا فاعلم ان الابعاد المعــروفة عندنا للمكان انما تأخذ دلالتها من هذا المكان المطلق ، لانها قيد فى المقاس المحدود الذى يمثل طرفا من المكان المطلق . وكل بعد من الابعـــاد الثلاثة ، يأخذ مدلوله من نسبته الى المكان المطلق ، وهذا هو المعنى الذى يراد من ان البعد الرابع انما هو الله ـــ هـــو المكان المطلق ، والزمان المطلق ـــ فما من بعد ، من الابعاد ، الا يأخذ مدلوله منه ، سبحانه وتعالى ، لأن به تعـــالى قيومية كل قائم ، فلولاه لما كان وجـــود ، ولا عدم .. وهذا باب يطول شرحه ، وهو أصـــــل التوحيد ، وفيه دقائقه .

*** يقول الماديون ان المادة موجودة خارج الذهن ، ويدحضـــــون الرأى القائل بانها أحساس فقط (SENSATION) بقولهم ان العقل ذاته مادة ، وتقول انت ان المادة ، كما نألفها ، ونعرفها ، وهم من أوهام الحـــواس .. فهل تعنى بقولك « كما نألفها ونعرفها » بانها فعلا موجودة خارج الذهن ، ولكن أحساسنا بها ما يزال خاطئا ؟**

ـــ اعنى ذلك ! فأنه ما من شك ان المـــادة موجـودة خارج

الذهن البشرى ، وباستقلال عنه •• اعنى أنها وجدت قبل ان يوجد الذهن البشرى فى حيز الظهور •• ولكن وجـــودها ، كمـا تعطيه الحواس ، انما هو مظهر لأمر وراءه ، لا نعرفه نحن •• اننا نعـرف بعض خواص المادة ، ولكننا لا نعرف كنهها •• ان المـادة انما هى مظهر لارادة الله العلى •• هى هـو •• هى ذاته فى تنزلات ثلاث : تنزلة الى مرتبة الاسم ، وثانية الى مرتبة الصفة ، ثم ثالثة الى مرتبة الفعل •• مرتبة العلم والارادة والقدرة •• فكأن المادة انما هى علم الله مجسدا •• المادة تجسيد الله •• وهى دليلنا عليه ، ودليلنا اليه •• قال ، جل من قائل ، « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟ » ولقد قال العارفون « ما فى الكون الا الله » يعنون ان ليس فى الكون الا ذات الله ، واسماؤه ، وصفاته ، وافعاله •• والمادة فعله فى حيز المحسوس •• هذه هى المادة « كما نألفها ونعرفها » كما ورد بذلك التعبير الذى اشرت انت اليه فى سؤالك ، وهى ، فى هذا المستوى ، وهم من أوهام الحواس ، لانها ، عندما تفتتت بانفلاق الذرة ، ظهر انها طاقة ، « تدفع » ، « وتجذب » فى الفضاء ــ ظهر انها حركة ــ وعندما تتركز هذه الحركة فى نقطة معينة ، بسرعة تختلف عما حولها ، يبرز تجسيد لها ، بصـورة تلفت الانتباه ، فيكون ما يعـرف عندنا بالمادة ، حتى لقد قادت هذه الظاهرة بعض العلماء الى خطأ شائع ، وهو قولهم ان « الحركة هى شكل وجود المادة » ولقد تبنى هــذا الخطأ الماركسيون أيضا ، وهذا فريدرك انجلس يحدثنا ، من كتاب له أسمه « ضد دوهرنغ » فيقول : « ان وحدة العالم ليسـت فى كيانه •• بل فى ماديته •• وهذه المادية قد اثبتها •• تطور طويل ، وشاق ، للفلسفة ، وعلوم الطبيعة •• الحركة شكل وجود المادة •• لم يوجد ،

قط ، ولا يمكن ان يوجد ، ابدا ، فى أى مكان ، مادة بدون حركة ؛
ولا حركة بدون مادة •• ولكن ، اذا تساءلنا •• عن ماهية الفكر
والادراك ، وعن مصدرهما ، نجد انهما نتاج الدماغ الانسانى ، وان
الانسان ، نفسه ، هو نتاج الطبيعة ، الذى نما ، وتطور ، فى محيط
طبيعى معين ، ومع هذا المحيط •• واذ ذاك يغدو ، من البداهة ، إن
نتاجات دماغ الانسان ، التى هى أيضا ، عند آخر تحليل ، نتاجات
للطبيعة ، ليست فى تناقض ، بل فى انسجام مع سائر الطبيعة » وكان
حديث انجلس هذا فى تدعيم حديث لماركس ، ورد فى كتابه « رأس
المال » المجلد الاول ، فى توضيح ، فى آخر الطبعة الثانية ، وذلك
حيث يقول « يرى هيقل ان حركة الفكر ، هذه الحركة التى يشخصها ؛
ويطلق عليها أسم الفكرة ، هى الاله ، (الخالق ، الصانع) ، للواقع ••
اما انا فأنى أرى العكس : ان حركة الفكر ليست الا انعكاسا لحركة
المادة ، منقولة الى دماغ الانسان ، ومتحولة فيه » وسنعود للحديث
عن خطا الماركسيين فى السفر الخاص « بالماركسية فى الميزان » ••
ولكن الذى يهمنا هنا هو ان نقرر ان الحركة ليست « شكل وجود
المادة » وانما هى المادة نفسها ، فى اعلى صورها المحسوسة ؛ ثم
لا يكون بعد تطور الحركة الا غياب المادة عن الحواس •• والحركة
انما هى التطور المستمر ، من اسفل الى أعلى ، ومن صور غليظة ؛
الى صور رفيعة ، ومن كم الى كيف ، ومن بعد ، الى قرب ؛ ومن
جهل الى معرفة ، وقد عبر عنها القرآن عبارات هى نهاية الدقة ،
وذلك حين قال ، جل من قائل ، « يايها الانسان انك كادح الى ربك ؛
كدحاً ، فملاقيه » يعنى يأيها الانسان ان الله مسيرك سيرا حتميا —
اردت أو لم ترد — من الجهل الى المعرفة ، لأن ملاقاة الله لا تكون
فى مكان ، ولا فى زمان ، وانما تكون بتقريب صفات

العبد ، من صفات الرب .. فأن الله تبارك وتعالى خلق الانسان على صورته ، فأنه ، جل وعلا ، حى ، وعالم ، ومريد ، وقادر ، وسميع ، وبصير ، ومتكلم .. وقد خلق الانسان — أى انسان — فجعله حيا ، وعالما ، ومريدا ، وقادرا ، وسميعا ، وبصيرا ، ومتكلما ، ولكن صفات الله تعالى فى نهاية الكمال ، وصفات الانسان فى نهاية النقص ، ثم ان الله تعالى سير اليه الانسان فى مراقى الكمال ، بالتطور المستمر فى هذه المراقى ، وكلما حقق الانسان كمالا ، كلما ظهر له ان الكمال الذى أمامه أكبر مما حقق ، فسار يرقى المراتب ويقطع درجات القرب ، بارادة منه ، وبغير ارادة .. وهذا معنى قوله ، تبارك وتعالى : « يايها الانسان انك كادح الى ربك ، كدحا فملاقيه » وملاقاة الله سير سرمدى ، فى الاطلاق ، وهذا يعنى ان ليس هناك حد لتطور الانسان ، وترقيه .. والتطور ، فى جميع عناصر الوجود ، انطلاق لا يعرف الاستقرار .. ولقد عبر عنها القرآن بقوله تعالى « كل يوم هو فى شأن » وشأنه ، تعالى ، ظهوره لخلقه ليعرفوه .. ويومه ، تعالى ، ليس اربعا وعشرين ساعة ، وانما يومه ، تعالى ، وحدة زمن ظهوره .. وهو يتناهى فى الدقة ، حتى ليكاد ان يخرج عن الزمان .. فكل دقة فى الوحدة الزمنية امكنك تصورها فهى يومه .. جزء من بليون جزء من الثانية ، مثلا .. وما هو ادق من ذلك فى تصور العقول الكبيرة .. فكأن الوجود حركة لا تنقطع ، على الاطلاق ، الى غاية لن يبلغها ، لانها الاطلاق .. والحركة الحسية ، فى جميع الجهات .. لأن الحركة المعنوية من الجهل الى العلم .. وقد عبر القرآن عن الحركة فى جميع الجهات بقوله تعالى « وترى الجبال

تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب ، صنع الله ، الذى اتقن كل شىء ، انه خبير بما تفعلون » ويجب ملاحظة انه لم يقـل « وترى الجبال تحسبها (ثابتة) » وانما قال تحسبها (جامدة) وهى كلمـة تنفى ثبات التكوين ، وتدل على ان حجـارة الجبل تتعرض لحـركة مستمرة ، لا تقف ، تنتظم ذرات تكوينها الداخلى ، كما يحـدث لسحابة الدخان (بخار الماء) ثم هو ، بعد ان قرر الحركة فى داخل التكوين الذرى للجبال ، قرر أيضا مروره عبر الفضـاء ، فى جميع الجهات ، وذلك حين قال « وهى تمر مر السحاب » ..

ثم ان هذه الحـركة الدءوب ، التى تنتظم جميع العناصر ، فى جملتها ، وفى تفصيل تكوينها ، انما جعلها الله مسخرة للانسان ، وهو طليعة العناصر ، لينتقل بهذه الحركة من كم الى كيف .. من جسم الى عقل .. من جهل الى معرفة .. من حيوان الى انسان . (الى اله) وهناك كثير يقال فى هذا الباب ، ولكن يبدو انى سأقف عند هذا الحد .. ثم ان اسئلتك التى تتطلب توسـعا فى شرح بعض ما ورد فى « الرسالة الثانية من الاسلام » وما ورد فى الرد على بعض اسئلة الاستاذ السنوسى ستؤجل ، فى الوقت الحـاضر ، نسـبة لضيق الوقت ، وانى لارجو ان نتحدث عنها حديثا خاصـا ، قد يغنى عن الكتابة فيها ، ذلك لأن اصولها قد وردت فى هذين الاصلين .. هـذا وانى لارجو ان تتقبل فائق تقديرى .

المخلص

محمود محمد طه

امدرمان فى ٧ ربيع اول ١٣٨٨

٣ يونيو ١٩٦٨

الاسئلة التالية موجهة من الاستاذ محيى الدين عووضه نسجل معها الأجوبة عليها ..

※ ما رأيكم حول مسألة القضاء والقدر ؟

مسألة القضاء ، والقدر ، مسألة أزلية .. تظهر ، وتختفى ، فى صور مختلفة ، ولكنها دائما تبحث عن الحل .. ويظنها بعض الناس انها ترف فكرى ، فيصرفونها عنهم ، حين يعجزون عن حل لغزها .. وما هى ، فى الحقيقة بذلك ، وانما هى مسألة عملية ، يتوقف على فهمها استقرار السلام فى مقبل الايام على هذا الكوكب ، الذى مزقته الحروب الاهلية المستطيرة بين ابنائه ، ذلك بأنه لن يتحقق على الأرض السلام الا اذا كان كل فرد فى سلام مع نفسه التى بين جنبيه .. ولن يكون فرد فى سلام مع نفسه الا اذا ادرك مشكلة القضاء ، والقدر ، هذه ..

انظروا الى العوالم التى حولنا ، وانظروا الى كوكبنا ، هذا الذى نعيش عليه ، بل انظروا الى اجسادنا ، فأنها ، جميعاً ، لدقة تركيبها ، ودقة عملها ، نعجز عن فهمها ، وعن السيطرة عليها ، والتصرف فيها ، ولكنا ، نعلم انها ، جميعها ، تسير وفق قانون دقيق ، ومرتب ، ومحسوس .. ليس للمصادفة فيه مكان .. فهو يعرف بدايته ، ونهايته ، ويعرف وسيلته ، وغايته .. فهذا القانون فى جملته ، التى لا ترتبط بالزمان ، ولا بالمكان ، هو القضاء ، وفى تفصيله الزمنى ، والمكانى ، هو القدر .. والقضاء ، والقدر ، هو قانون العقل الازلى الذى ، ما عقولنا الا أقباس منه .. ونحن

بالنسبة للقضاء ، والقدر ، مجبرون ، ومخيرون ، فى آن معاً : نحن مجبرون بالنسبة الى الجانب الذى نجهله من القانون ، ومخيرون بالنسبة الى الجانب الذى نعلمه منه .. فكأن ثمن الحرية هو المعرفة ، فاذا اطردت معرفتنا اياه ، حتى استوعبناه ، حققنا حريتنا ، وكنا فى سلام مع انفسنا . ونحقق بذلك السلام على الارض .

※ ما رأيكم حول علاقة الفرد بالمجتمع ؟

المجتمع اعظم ابتداع تفتق عنه الذهن البشرى بعد الدين .. وهو اقوى وسيلة توسل بها الفرد لأحراز حريته الفردية المطلقة ، بعد وسيلة الدين أيضا ، ذلك انه عندما كان الانسان وحيداً ، وضعيفا ، لا ينهض بجميع التزامات حياته من غذاء ، وكساء ، ودفاع ضد الاعداء ، تم بينه ، وبين المجموعة ، اتفاق صامت على ان يتنازل لها عن قسط من حريته .. ولقد كان لتنازله هذا فائدة اخرى ، تعود عليه ، وهى ترويضه على كبت رغائبه ، وغرائزه ، غير الاجتماعية . ثم لم يزل الانسان يحسن من نفسه ، فيجعلها اكثر مدنية ، من ذى قبل ، ويحسن فى مجتمعه ، فيجعله اكثر تسامحا،واقل عنتا ، من سابق عهده ، حتى يقل ، بفضل الله ، ثم بفضل اسماح المجموعة ، الثمن الذى يدفعه ، من حريته الفردية لقاء ارتفاقه بنظمها السياسية ، والاقتصادية .. وهكذا ، دواليك ، حتى يجىء اليوم الذى تكون فيه المجموعة البشرية ، هى من الاسماح ، بحيث تتقاضى الفرد البشرى اقل قدر ممكن ، من حريته ، وتوفر له أكبر قدر ممكن من التشجيع ، الذى ييسر له بلوغ حريته الفردية المطلقة ، من غير ان يكون فى ذلك اضرار بالمجموعة .. ذلك لأن

الفرد ، الكامل ، الحر ، هو غاية الجماعة الكاملة ، الحرة ..

*** ما رأيكم حول العلاقة بين الحقيقة الكونية ، والفكر الانسانى ؟**

الأنسان صورة ، مصغرة ، من الحقيقة الكونية ، فهو يحوى كل ما فيها . ولكن ذلك موزع بين عقله الواعى ، وعقله الباطن ، وما عمل الانسان فى التعلم الا ايقاظ المعانى النائمة فى عقله الباطن ، حتى ترتفع الى مستوى عقله الواعى ، فيدركها . ويعينه على هذا الايقاظ ، الحوادث التى يزخر بها الوجود من حوله . والى ذلك الاشارة بقوله تعالى : « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ، أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟ » ..

*** ما رأيكم فى فلسفة التاريخ البشرى ؟**

التاريخ البشرى هو سيرة الحياة على هذا الكوكب ، منذ ان كانت دودة « اميبة » ، طافية على وجه الماء ، الى ان اصبحت بشراً سوياً .. وهى لا تزال منطلقة فى سيرها الى انجاب « الرجل » ..

والتاريخ كروى ، كالكرة الارضية ، فهو لا ينفك يدور حول نفسه . فيعيدها بصورة من الصور .. هو عند الامم المتخلفة ، يعيد نفسه ، بصورة تكاد تكون مماثلة للماضى ، كل المماثلة ، وذلك لقلة التفكير ، ولانعدام الابتكار ، ويقل ، من ثم ، التقدم .. وهو ، فى الامم المتقدمة ، يعيد نفسه بصورة تختلف ، كثيراً ، أو قليلا ، عن الماضى .. وذلك تبعا لحرية الفكر ، والمقدرة على الابتكار . ويكون ، من ثم ، التقدم .. فكأن الامم المتخلفة فى الفكر ، وحريته ، تسير فى حلقة مفرغة ، فهى تجد نفسها دائما حيث بدأت ، واما الامم

المتقدمة فتسير فى طريق لولبى ، يرتفع ، كلما تقدم بها الزمن ، نحو غايتها المرجوة ، وهى انجاب « الرجل » ..

فالتاريخ البشرى ، هو ، اذن ، خط سير الفكر البشرى ، فى الزمان ، والمكان ..

*** ما هى نظريتكم فى الاخلاق ؟**

بداية الاخلاق ضبط الغــرائز ، الذى كانت تتطلبه المجموعة الأولى من الفرد ، ليكون اجتماعيا .. ونهاية الاخـــلاق هى حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة ..

فالاخلاق مرتبطة بالفكر دائما ، ومرتبطة بالجماعة .. وهى ليست غاية فى ذاتها ، وانما هى وســـيلة لخدمة الجماعة اولا ، ولأذكاء الفكر ثانيا .. وعملها فى اذكاء الفكر ، وفى تحريره ، هــو عملها الاساسى ، لأنه يؤدى الى انجاب الفرد الكامل ..

وبعد ، فقد عالجت هذه الاسئلة فى ايجاز شديد لضيق الحيز ، الذى يسمح به المقام ، هذا مع ان اسئلتك تحتاج الى اســهاب واطناب ..

محمود محمد طه

الجبلين فى ١٩٦٣/٣/١٦

عزيزى بشير — تحية طيبة مباركة .. وبعد فقد طال الوقت على سؤالك ، وانت لابد مقدر ما نحن فيه من شغل شديد ؛ من ناحية الدعوة من جانب ، ومن ناحية اعمالنا الخاصة من جانب آخر .. فأرجو ان تكون عاذرا ..

سؤالك :—

※ ما هى الحكمة فى ان الطهارة الكبرى لكل الجسد ، والصغرى لبعض الاعضاء ؟

أول ما تجب الأشارة اليه ان الطهارة ؛ والنجاسة ، أمران يتعلقان بالقلب ، فى المكان الاول ، ثم بالجسد ، فى المكان الثانى . ثم بالثوب ؛ فى المكان الثالث ، ثم بموضع العبادة ، فى المكان الرابع . والمهم هو القلب . فأنه بيت الله وموضع نظر الله الى العبد . « وعهدنا الى ابراهيم ، واسماعيل ، ان طهرا بيتى للطائفين ؛ والعاكفين ، والركع السجود » ومن نجاسة البيت الحرام ان تكون فيه اصنام الحجارة .. ومن نجاسة قلب العبد ان تكون فيه اصنام الشهوات ، والعادات ، والاغيار .. وقد جعلت النجاسة الحسية دليلا على النجاسة المعنوية .. أى نجاسة اعضاء الجسد جعلت دليلا على نجاسة القلب للقرينة القائمة بينهما ؛ وقد وردت اليها الاشارة فى قول المعصوم : « ان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح سائر الجسد ، واذا فسدت فسد سائره ، الا وهى القلب » .

وهناك حديث عن المسيح ، بلغنا ، يقول فيه : « ليس ما يدخل الفم ينجس الجسد ، وانما ينجس الجسد ما يخرج من الفم » يعنى المتحدث فيما لا يعنيه •• يعنى القول بجهالة : « وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » •• ويعنى ما عناه المعصوم حين قال : « وهل يكب الناس على وجوههم فى جهنم غير حصائد السنتهم ؟ » وطهارة النجاسة الحسية انما تكون بالماء ، ولا تكون الطهارة المعنوية الا بالعلم ـ فكأن الماء رمز للعلم : « أنزل من السماء ماء ، فسالت اودية بقدرها •• » فالماء ، هنا ، فى التفسير الباطنى ، « القرآن » •• والأودية « القلوب » ••

فاذا قام المتطهر بغسل الاعضاء الظاهرية فقد وجب ان يستحضر العلم ، دائما ، ليقوم بتطهير قلبه فى نفس الوقت الذى يطهر فيه اعضاءه ••

فاذا أخذت الطهارة الصغرى ، مثلا ، فأنها انما تنصب على جميع الحواس الخمس ، يزاد عليها الجوارح التى يكون بها الكسب والاكتساب ، مثل الرأس ، والساعد ، والرجل ، والدبر ، والقبل •• وهذه الحواس ، والجوارح ، هى ابواب القلب على العالم الخارجى فهى تدخل عليه الظلام ، اذا استعملت استعمالا خاطئا ، وتخرج منه الظلام ، وتدخل عليه النور ، اذا استعملت استعمالا صالحا •• هى ابواب النار ، وهى ابواب الجنة •• ولا تكون الطهارة الصغرى مؤدية للمراد منها الا اذا اقيمت عن علم •• وأول العلم النية فيها •• فأنه لا يكفى ان يقول المتوضىء مثلا : « نويت أن أتوضأ » ثم يذهب فى غسل اعضاء الوضوء ، كما يفعل الناس الآن •• ذلك بان النية ،

عند العارفين ، عمل متجدد ، فهى يجب ان تصحب سـائر حركات الوضوء .. ويجب ان يستحضر المتوضىء ما اكتسب بالعضو الذى يطهره بالماء، مما ادخلظلاما على القلب ، فنجسه، فاذا ما تذكر خطيئة ارتكبت ندم ، واستغفر ، وتاب الى ربه .. مثلا ، اذا اخذ العارف ابريقه ، وذهب ليستبرىء ، اخذ فى التفكير فى مجلسـه ذلك .. هل الطعام الذى يتغوطه ، ويتبوله الآن ، كان قد كسب من حلال ؟ وهل ادى فيه ما يجب من حق للسائل ، والمحروم ؟ وهل اسرف فيه ؟ أم هل اعتدل ؟ فاذا تذكر خطأه فى أى ذلك استغفر .. وبالاستغفار ، والندم ، يطهر القلب .. ثم انه ، اذا فرغ من أمر الطعام ، اخـذ يتذكر هل حفظ جوارحه تلك ؟ أم هل فرط فيها ؟ وهكذا ، وكلما تذكر امراً ندم ، واستغفر ..

ثم هو اذا اخذ فى الوضـوء بغسـل يديه ، يتذكر ما اجترحه بهما .. هل مس بهما محرما عليه ؟ هل آذى بهما ؟ هل قبضـهما عن معروف ؟ الخ ، الخ .. فاذا تذكر شيئا ندم ، واسـتغفر ، وتاب ، وهكذا يفعل بجميع اعضائه ، حتى اذا انتهى من الوضوء الى رجليه كانت النية قد تمت ، وكذلك طهـارة الاعضاء بالماء ، وطهارة القلب بالعلم .. ولقد اجملت لك محاسبة المحاسب لنفسـه لأنك تعلمها جيداً ، ولا يتسع زمنى الحاضر للتفصيل ..

وكما قلنا ، فان النجاسة الحقيقية هى نجاسـة القلب ، بالغفلة عن الله .. ولا تكون نجاسة القلب بالغفلة عن الله الا بما تجترحـه الجوارح من اخطاء ، لأن هذه الجوارح هى ابواب القلب على عالم النور ، وعلى عالم الظلام .. والى ذلك الاشـارة بقوله تعـالى :

« كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وانما فرضت الطهاره الصغرى على الاعضــاء التى فرضت عليها لتكون طريقا الى تطهير القلب بماء المعرفة ، كما سبق المثل ••

والغفلة عن الله درجات ، بعضها اشد من بعض ، وسببها حب الدنيا •• وحب الدنيا ، ممثلا ، فى شهوة البطن ، والفرج ، وما تستتبع هذه الشهوة من الحيل ، والحبائل •• وقد جاء الوضــوء للتطهير من شــهوة البطن ، وكذلك جعلت موجباته خــروج الريح ، والبول ، والغائط •• وجاء الغسل للتطهير من شهوة الفرج •• وشهوة الفرج اقوى من شهوة البطن ، ولذلك فان الغفلة بمقتضاها أشد من الغفلة بمقتضى شهوة البطن •• والافراز المنوى ، الذى به تتم شـــهوة الفرج ، يخرج من كل ذرات الجسد ، ولذلك فقد زادت الطهارة منه على اعضاء الوضوء ، وانصبت على سائر اعضاء الجسد ، وذلك لشدة استغراق اللذة لجميع ذرات الجسد •• والدليل على ان الغفلة ، عن الله ، فى حالة شهوة الفرج ، اشد من الغفلة عنه ، فى حالة شـــهوة البطن ، لا يحتاج الى طويل برهان ، فانه معروف ، بالتجـربة ، ان الرجل اذا كان موزع البال ، غير مجرد القصد ، وموحده ، فى حـالة المواقعة ، فانه لا يتم له الانتصـــاب ، ولا يأتى منه شىء ، ثم انه لا تكون منه المواقعة حتى تستغرق الشهوة فكره ، فى تلك اللحظة ، استغراقاً تاماً ، كاملا ، لا يتأتى مثله لغير هذه الشهوة •• فالحكمة ، اذن ، فى ان الطهارة الكبرى لكل الجسد ، والطهارة الصغرى لبعض الاعضــاء ، انمـا تلتمس فى التفاوت فى مبلغ الغفلة ، عن الله ، فى كلتيهما •• ولقد عرف العارفون ان شهوة البطن ، مع انها سابقة على

شهوة الفرج ، غير ان هــذه آصل من تلك •• وفى التماس اللذة ، فى غير الله ، انشغال بالنعمة ، عن المنعم ، وهــذا يدخل على القلب من نجاسة الغفلة ما هو الحكمة وراء الطهارات ، من حيث هى ، صغرى وكبرى •• ولكى يقلل العارفون من غفلتهم لدى التماسهم شــهوتى البطن ، والفرج ، اتجهوا بهما الى الله ، بالنية الصالحة ، فهم ، ان اكلوا ، نووا بذلك القوة على العبادة ، وان توسعوا فى اطايب الاكل فى غـــير اسراف ، نووا تدريج النفس على هينة ، ليحملوها على العزائم ، والمجاهدة ، وهى طائعة ، ومؤاتية ، وذلك لحسن السياسة الرشـــيدة ، والتأتى الحكيم •• وهم ، ان نكحوا ، نووا امتـــاع الحليلة ، وصيانتها •• ونووا ابتغاء الذرية الصـــالحة ، ونووا ، الى ذلك كله ، امتاع النفس من اللذة الحلال ، لترى المنعم فى النعمة فتـــأنس اليه ، وتحبـــه ، وتتعلق بـــه •• ومـــع كل أولئك ، فهم يستغفرون الله كثيرا عند فراغهم من لذاتهم ، ليطهـــروا قلوبهم من غفلة التماس اللذة فى غيره ••

قلنا ، فى اول هذا الخطاب : « وطهارة النجاســة الحسيه انما تكون بالماء » ولا يفوتنا ان الصعيد بديل عن الماء ، حيث تعـــذر وجوده ،أو تعذر استعماله •• وانما جعل الصعيد مطهراً للاجساد لأنه اصلها الذى منه نشأت ، فاذا مارجعت اليه ، تلتمس عنده الطهـــارة من النجاسة الحسية ، وجب ان ترجع القلوب الى اصلها الذى منه نشأت تلتمس عنده الطهارة من النجاسة المعنوية ••

والاصل الذى نشأت منه القلوب هو الله ، جل وعلا •• فرجع الأمر الى ما سبق ذكره ••

وانما يكتفى فى الطهارة الترابية بمسح الوجه ، واليدين ، لأن الوجه صفحة القلب ، واليدين صفحة العقل .. والمرء باصغريه : قلبه ، ولسانه ، أى قلبه ، وعقله .. ما ارى الا أن الحديث سيطول ، ولا يتسع له الوقت الحاضر ، فان رأيت ان هذا لا يكفيك فاكتب لى عما بدا ، وسأعود .. والله يتولى ارشادى ، وارشادكم ..

المخلص

محمود محمد طه

بســـم الله الرحمن الرحيم

عزيزى / السيد على حامد قنجارى ،

تحيــة طيبة مبــاركة ،

وبعد فقد اطلعت على بحث الاخ السيد طه الكردى عن خلق القرآن ، ولما كنت قد وعــدتك بالتعليق فأنى ، وفاء بذلك الوعــد ، أحرر هذه السطور ، والله المســئول أن يهدينا جميعا الى المحجة البيضاء ، وأن يهدى بنا ، انه سميع مجيب :ـ

※ المعانى تؤخذ من الله لا من الكلمات ..

معلوم ان قضية خلق القرآن قضية قديمة ، وكانت ، فى وقت اثارتها ، فتنة من الفتن المشهورة فى تاريخ الاســلام ، فاذا اعادها علينا ، اليوم ، الاخ الكريم طه الكــردى فأنى لانتظر من اعادتها خيرا كبيرا ، يتمثل فى دقة الفهم الذى يمكن أن ينتج عن التعمق فى بحث الاصول التى تقوم عليها هذه القضية الخطــيرة .. وأول ما تثيره هذه القضية هــو الفرق بين الكلمة والمعنى .. فان الكلمات ، بحكم انها نشأت من اضطراب الناس فى حياتهم اليومية ، الجسدية ، قد أخذت معانى محدودة ، وألف الناس أن يعتبروا هذه المعــانى المحدودة أمرا تعطيه البداهة ، ولا يحتاج الى تعمق ، ولا الى اعمال فكر .. فلو سألت أحــدهم عن معنى كلمة « مخلوق » لقال لك أن معناها معروف ، فالمخلوق غــير الخالق .. وهــذا أمر بديهى .. ولكنك ، اذا تعمقت القضية ، وجدت أن معنى كلمة « مخلوق » أبعد شىء من أن يكون بديهيا .. وفى الحق ، ان العارفين أنما يعتبرون الكلمات اشارات للمعانى .. فهى توجه اليها ، ولا تعطيها ، وانما تؤخذ المعانى من الله ، بحسن التوجه اليه ، وتمام الحضور معه ،

وذلك هو توحيده .. فاذا قالت اللغة ان المخلوق غير الخالق ، فأن التوحيد يقول ليس هناك غيرية .. فما فى الكون الا الله ، وأسماؤه ، وصفاته ، وأفعاله ، فالمخلوق هو مظهر الله ، فى مرتبة الفعل ..

*** الباطل المطلق لا يدخل فى الوجود ..**

وليس فى المخلوقات باطل بعينه .. أى من جهة نظر الله الى الكون .. وانما الباطل حكم عقلى ، أو قل شرعى ، من جهة نظر الانسان الى الكون .. والحكمة وراء الحق ، والباطل ، ان يتعلم الانسان ليصير من التعدد الى الوحدة ، ذلك بأن العقل لا يدرك مدركاته الا عن طريق الحواس ، والحواس تعطى التعدد ، والتعدد مظهر الواحد . وآخر منازل التعدد ، فى الترقى الى الوحدة ، هو الثنائية .. الحق والباطل .. يقول تعالى فى ذلك .. « وما خلقنا السماء ، والارض ، وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، كالمفسدين فى الارض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟ * كتاب انزلناه اليك ، مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الالباب »

« باطلا » هنا تعنى عبثا — لغير حكمة — وقوله « ذلك » أى خلق السموات ، والارض ، وما بينهما لغير حكمة هو « ظن الذين كفروا » .. وقد توعدهم الله بالنار جزاء على هذا الظن الفاسد .. وحكمته من وجوب النار لهم اخراجهم من الفساد الى الصلاح ، أو قل ، من الباطل الى الحق .. وقد أنزل الله الكتاب ليغنى من تداركته رحمة الله عن النار ، وذلك بالتدبر والتذكر .. فقال :

« كتاب أنزلناه اليك ، مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الالباب » ..

والحق معانى ، وأوانى للمعانى ، « أى أجساد » والباطل

معانى ، وأوانى للمعانى •• وأعلى معانى الحق الحقيقة ، وأعلى أوانى الحق أحمد •• وليس هنـــالك باطل مطلق ، ليقابل الحق المطلق ، لا فى المعانى ، ولا فى الأوانى ، ذلك بأن الباطل المطلق لا يدخل فى الوجود •• وأبعد معانى الباطل عن الحق الشرك ، وأبعد أوانى الباطل عن أحمد ابليس ، ومع ذلك ، فأن ابليس ، وهو أكبر من مثل أقصى الشرك ، أنما هو مظهر لله فى مســتوى الفعل ، ومن أجل ذلك فأنه ليس باطلا مطلقا •• فقول الله تعالى فى ذلك « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ، ويجعـــل الرجس على الذين لا يعقلون » وقال المعصوم « من آمن فقد آمن بقضاء وقدر ، ومن كفر فقد كفر بقضاء وقدر ، رفعت الاقلام ، وجفت الصـــحف »

❋ ابليس عالم ولكنه ليس تقيا ••

ومعنى أن ابليس ليس باطلا مطلقا أن عين ابليس حق ، ولكن علمه باطل ، لأنه جهل بالله ، وجهل بقدر نفسه ، ومن أجـل ذلك أشرك نفسه مع الله •• قال تعالى عنه •• « قال ما منعك الا تسـجد اذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار ، وخلقته من طين ❋ قال فأهبط منها ، فمـــا يكون لك ان تتكبر فيها ، فاخــــرج أنك من الصاغرين » فالباطل ، على ذلك ، وجه من وجوه الحق ، والجهـل انما هو أمر نسبى ، فما هو علم اليوم ، يصبح جهلا غدا •• ولا يعنى هذا ، بالطبع ، ان العلم المطلق غير موجود ، بل الحق ، والحق أقول ، لا يكون النسبى الا بالاشارة الى المطلق •• وفى العبارة التى رد بها ابليس على سـؤال الله تعالى اياه علم ، ولكنه علم ناقص ، ولذلك لم يكن نافعا ، ولا عاصما عن الخطأ فى السلوك ، فأنه حق ان الله خلق ابليس من النار ، وخلق آدم من الطين ، ولكنه ليس حقا ان النار أشرف من الطين عند الله ، كما ظن ابليس •• وهذا يمكن ان يساق مثلا فى الجهل ، أو قل فى العلم الناقص الذى يختلط فيه

الجهل بالعلم ، ثم يكون نصيب الجهل فيه أكبر من نصيب العلم ، فيصير الى ما هو غالب عليه ، وهو الجهل ..

*** لكل ذرة فى الوجود شكل هرمى ..**

نريد ان نخرج من هذا الاستطراد بان العلم والجهل وجهان لعملة واحدة ، التفاوت بينهما تفاوت مقـــدار .. ونريد من هـــذا الاستطراد ان نقرر ان الحق والباطل وجهان أيضا لامر واحـــد ، وهما معا مظهران للحقيقة الواحدة ..

الحق مظهر للحقيقة الباطل فيه مغلوب ، فهو من ثم حق .. والباطل مظهر للحقيقة الحق فيه مغلوب ، وهو من ثم باطل .. وقد قلنا ان أحمد اناء الحق ، وأحمـــد مخلوق .. وقلنا ان ابليس اناء الباطل ، وابليس مخلوق ، والفرق بين المخلوقين ان أحمد هو الوجه القـــريب من الحقيقة ، وابليس هـــو الوجه البعيد .. وقول الله تعالى « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ، ذو الجلال والاكرام » يعنى ان الوجود له شـــكل هرمى ، قمته أحمد ، وقاعدته ابليس .. فأحمد هو وجه الوجود الذى يلى الله ، وهو من ثم باق ، لا يفنى الا قليلا .. وابليس هو وجه الوجود الآخر ، البعيد من الله ، وهو من ثم فان ، لا يبقى الا قليلا .. وفناؤه أنما هو تقلبه فى الصور ، يطلب البقاء ، بالترقى ، والتطور المستمر فى مراقى الحق .. وكل ذرة من ذرارى الوجود لها شكل هرمى .. الحق ، فى ذلك ، والباطل سواء .. أحمد وابليس فى أمر الشـــــكل الهرمى سواء .. ولكن التفاوت بينهما فى المقدار .. بمعنى ان الهرم الأحمدى رفيع القمة رفيع القاعدة ، وأما الهـــرم الابليسى فأنه كثيف القمة ، كثيف القاعدة .. والقمة ، والقاعدة ، وما يجرى من تفاوت فى الدرجات بين القمة والقاعدة أنما هى مظاهر الله .. والله ، تبارك وتعالى ، فى حد ذاته ، غنى عن المظاهر ، وانما ظهر لحاجتنا نحن لمعرفته ،

وبمظاهره عرفناه •• وهناك حديث قدسى قال الله تعـالى فيه ••
« كنت كنزا مخفيا ، فأردت ان اعـرف ، فخلقت الخلق ، فتعرفت
اليهم ، فبى عرفونى » والكنز المخفى اشارة الى الذات فى مرتبـة
الصرافة ، وهى مرتبة فوق العبارة ، وفوق الاشارة ، لا تعرف ••
فلما أراد تعالى ان يعرفه عباده تنزل من مرتبة الصرافة الى مرتبة
الاسم ، فسمى نفسه الله •• ثم تنزل الى مرتبة الصفة ، فسـمى
نفسه الرحمن ، ثم تنزل الى مرتبة الفعل ، فسمى نفسه الرحيم ،
ثم تعلقت بهذه الأسماء ، الأسماء الحسنى ، التى سمى بها تعالى
نفسه ، ثم قال « قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أيا ما تدعوا ،
فله الأسماء الحسنى » والأسماء الحسنى تنزلات فى المدارج ، وهى
تتفاوت ، تفاوت مقدار ، وأقربها الى فهمنا الأسـماء ذات الضد ،
مثل المحيى ، المميت ، أو الضار ، النافع ، أو المعز ، المذل •• وانما
كانت هذه الأسـماء الزوجية اقرب الى فهمنا لأن الازدواجية ،
بطبعها ، أقرب الى ادراك العقول •• ومن هذا الباب فأن الله هو
الذى يهدى ، وهو الذى يضل •• قال تعـالى : « يضل به كثيرا ،
ويهدى به كثيراً ، وما يضل به الا الفاسـقين » فمن ناحية الهدى ،
والاضلال ، فان أحمد مظهر اسم الله الهادى ، وابليس مظهـر اسم
الله المضل •• فأذا استقر هذا فى الاذهان يستقر أيضا ان الوجود
كله مظهر الله فى مستويات مختلفة ، وما نسـميه نحن الخلق ما هو
غير الخالق ••

* وحدة الوجود ••

وسيقول قائل ان هذه هى وحدة الوجود ، فليعلم هذا ان وحـدة

الوجود هى التوحيد ، وما أنكرها ، من أنكرها ، الا لجهله بحقيقتها ، فوحدة الوجود تعنى ان ليس فى الوجود الا فاعل واحد ، ومريد واحد ، وكل ما فى الوجود انما هو أثر لارادة واحدة ، لا تتعدد ..

✻ هل القرآن مخلوق ؟

فالمخلوق اذن هو مظهر الخالق .. ومظهر الخالق شمل أحمد فى قمة الهرم ، وابليس فى قاعدة الهرم .. فهل القرآن مخلوق بهذا المعنى ؟ الجواب نعم ولا .. نعم ، لأن القرآن مخلوق بالمعنى الذى به أحمد مخلوق ، ولا ، لأن القرآن ليس مخلوقا بالمعنى الذى به ابليس مخلوق .. وقد قلنا ان أحمد حق ، وابليس باطل .. والله هو خالق الحق ، والباطل ، أو قل ان الحق والباطل هما مظهران لله .. لله فى مظهر الباطل ارادة ، وله فى مظهر الحق رضا .. وقد ارسل الله الرسل لينقلوا عباده مما يريد الى ما يرضى ؛ فأنه سبحانه ، وتعالى ، أراد الكفر ، وأراد الايمان ، ولكنه لا يرضى الكفر ، وانما يرضى الايمان .. قال تعالى .. « ان تكفروا فأن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وان تشكروا يرضه لكم » .. هو خالق الظلمات وخالق النور .. الظلمات مظهره ، والنور مظهره .. وأرسل محمداً ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، باذنه ، ومن أجل ذلك أنزل القرآن ، قال تعالى .. « الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ، باذن ربهم ، الى صراط العزيز الحميد » فالقرآن حق ، كله ، يزهق الله به الباطل ، ونور ، كله ، يخرج الله به الناس ، من الظلمات ، الى النور .. فهو مخلوق فى هذا المستوى .. هو مظهر الله .. هو الله المتنزل من مستويات

صرافة الذات . الى مستويات الحقيقة ، الى مستويات الحق ..
ولا تجد الذين يخوضون فى خلق القرآن ، كما فعل أخونا السيد طه الكردى ، الا ضعافا فى التوحيد ، فهم يظنون أن القرآن هو ما تعطيه اللغة العربية من المعانى .. ويورد هنا السيد طه الكردى الكثير من .. « انا جعلناه قرآنا عربيا » وأخواتها .. ويذكر فى باب الاحتجاج ، عبارة منسوبة للامام محمد عبده يقول فيها ..
« انى أربأ بامام كأحمد بن حنبل أن يقول ان هذا القرآن ، المكتوب من حروف هجائية ، التى ينطق بها كل انسان ، وانها مادية ، بشرية ، غير مخلوق » ..

*** اللغة حجاب عن المعانى ..**

حجاب اللغة ، الذى اشرنا اليه فى صدر هذا الحديث ، ظاهر فى العبارة المنسوبة للامام محمد عبده ، فأنت ، حين تسمعه يقول .. « هذا القرآن المكتوب من حروف هجائية ، التى ينطق بها كل انسان ، وأنها مادية ، بشرية » ، تشعر بأن كل شىء معروف بداهة ، ولكن اذا أمعنت النظر ، وسألت نفسك .. ما هى الحروف الهجائية ؟ أو ما هى المادة ؟ لوجدت انك تعرف المظهر فقط ، وتجهل الحقيقة التى وراء المظهر ، وبذلك تكون خرجت بحيرة ، بدلا من العلم الذى ضللتك العبارة عنه ، وأوهمتك أنك تملكه ، من قبيل البداهة ، وأخونا طه الكردى أورد فى بحثه طرفا من الآية حين أورد .. « انا جعلناه قرآنا عربيا » ولو أورد كل الآية .. ثم أورد الآية السابقة لها ، والاية اللاحقة ، لاعانه ذلك كثيرا .. فلنوردها نحن ، ولنلفت نظره اليها ، فلعله يحدث فهما جديدا لموقفه .. قال تعالى .. « حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا ، عربيا ، لعلكم تعقلون * وانه ، فى ام الكتاب لدينا ، لعلى حكيم » أوردنا هذه الآيات ليتفكر فيها

الاخ السـيد طه ، لا ليكتفى منها بأن يذهب ليدلل على ان كلمة « جعل » تعنى كلمة « خلق » فأن « الجعل » و (الخلق) كيفهما مجهول ، وان خيل اليه أنه يعرفه ، والله تعالى يقول « حم » وهى آية تمثل قمة القرآن ، وما من مفسر للقرآن الا يقول عنها « الله أعلم بمـراده » •• ثم يقول تعـالى « انا جعلناه قرآنا ، عـربيا ، لعلكم تعقلون » فيفهم الفاهمون ان الله صب معانى القرآن فى قوالب التعبير العربى ، فحملت منه ما اطاقت • وذلك الصنيع انما جرى بفضـل الله علينا لعلنا نعقـل عنه •• ثم قال تعالى عن القـرآن « وانه فى ، ام الكتاب لدينا ، لعلى حكيم » فعرفنا أيضا أن القرآن اصله عند الله •• و « لدينا » هذه لا تشير الى المكان ، كما جـرت العادة بها فى اللغة العربية ، وهى لا تشـير الى المكان ، لأن الله ، تبارك وتعالى ، لا يشمله المكان ، وانما هى تشـير الى التناهى فى الكمال ، حتى تنتهى الى الذات العلية •• فالقرآن فى حقيقته هـو الله •• هو ذات الله تنزلت فى المستويات المختلفة • لماذا تنزلت ؟ الجواب « لعلكم تعقلون » •• وهذا يذكرك بالحديث القدسى الذى وردت الأشـارة اليه •• « كنت كنزا مخفيا ، فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فتعرفت اليهم ، فبى عرفونى »

*** للقرآن ظاهر وباطن ••**

أحب أن يعلم الأخ الكريم السيد طه أن القرآن له « ظاهر » ، وله « باطن » ، وله « حد » ، وله « مطلع » •• فأما ظاهـره فهو ماتعطيه اللغة العربية ، وهو يطابق آيات الآفاق • وأما باطنه فهـو أسرار النفس البشرية •• والى ذلك يشير قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » ، وأما « حده » فهو توظيفه ، كله ، لتحقيق التوحيد • وأما « مطلعه » فهو كونه ، كله ، فى أى حـرف منه ، بل انه ، كله ، فى « النقطة » التى عندما سالت ، وساحت ،

تكونت منها صور الحروف ، المختلفة : المعروفة عندنا « بالحروف الهجائية » ..

*** تقديس القرآن واجب ..**

لقد تحدث الأخ السيد طه كثيرا فى بحثه ليثبت أن القرآن مخلوق ، وهو بحث لا قيمة له ، لأنه هو لايفهم ما يقول .. ورأيت ان متابعته للرد عليه جملة ، جملة ، مضيعة للوقت، وسير فى التيه .. وأحب ان يعلم الأخ الكريم أن الورع منع الائمة الماضين فلم يقولوا بأن القرآن مخلوق ، محتملين فى سبيل هذا تعذيب الجهال من المسلطين ، لأنهم أشفقوا ان يذهب هذا التقرير بالتقديس الواجب للقرآن ، وهذا التقديس هو البديل الوحيد عن فهم أسرار القرآن .. فأن من لا يفهم القرآن ، ولا يجد فى نفسه تقديسه ، الى أعلى درجات التقديس ، انما هو محروم ، ومطرود ، من الحضرة الالهية .

عزيزى على .. لابد لى من الوقوف هنا ، لأنى مشغول بكتابة أخرى ، أجلتها لأكتب لك .. وفى الحق ، أنى كنت دائما محاولا ان اضغط الكتابة فى هذا الموضوع لئلا تطول ، وذلك لأن مجال القول فيه ذو سعة ، ويمكن أن يستمر الى مدى بعيد .. ثم لا يمل .. ولكن للضرورة أحكام .. ثم انى أحب أن أقول انى سأحاول أن أرد على أى اسئلة تقوم ببالك فى هذه السطور ، وسأرد كتابة حتى تضمها على بعض .. أرجو الله ان يجعلك من أهل البصائر والابصار .

وتكرم بقبول فائق احترامى

المخلص

محمود محمد طه

امدرمان ١٩٦٩/٧/٧ م

هــذا الكتاب ..

« ليس هذا الكتاب كاحد الكتب التى الفها الناس عنا ، من حيث وحدة الموضوع .. ذلك بانه يتالف من اجوبة على اسئلة ، جاءت اشتاتا ، من فضلاء يتفتحون على العرفان ، ويهتمون بقضايا الفكر المعاصر .. ولقد احتفلت باسئلتهم هذه ، وكان ذلك منى حرصاً على كرامة الفكر ، فى بلد لم يظفر الفكر فيه ، الى الآن ، بكبير كرامة .. ومع ذلك ، فان حرصى على تكريم الفكر انما يستمد اسبابه من اقتناع تام ، بأن ليل الجهل قد اخــــذ بنجاب ، وان نور الفكر قد اخــذ ينشر اجنحته المشرقة على هذه الارض الحزينة ، ومن ورائها ، على هذا الكوكب الحائر ..

هــذا الكتاب ..

* سر الحياة ..

قديما هام الناس بسر الحياة الاعظم .. هاموا بسر القدرة ، وبسر الخلود ... فجد الفلاسفة وراء ما اسموه بحجر الفلاســفة ، وبحث الكيماويون عما اسموه اكسير الحياة .. وحلم القصاصون بخاتم المنى ، وبالفانوس السحرى .. ولم يظفر اى من هؤلاء بشيء مما كانوا يبتغون .

قل لهؤلاء جميعاً ، ولغير هؤلاء ، من سائر الناس ، ان سر الحياة الاعظم ــ ان اكسير الحيــاة ــ هــو الفكر .. الفكر الحــر .. الفكر القوى ، الدقيق ، الذى يملك القدرة على ان يفلق الشعرة ويملك القدرة على ان يميز بين فلقتيها .. وهذا الفكر انما هو ثمرة العقل المســدد ، المروض ، المؤدب بادب الحق ، وادب الحقيقة .. »

الثمن ١٥ قرشــا

مطبعة مصر (سودان) ليمتد